إنَّ الْحَمْدَ لله، نَحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِه الله؛ فلا مُضل له، ومَنْ يُضلل؛ فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّدًا عبده ورسوله ﷺ.

[آل عمران:١٠٢].

[النساء:١].

[الأحزاب:٧١-٧٢].

ألا وإن أصدق الكلام كلام الله، وخير الْهَدي هدي مُحَمَّد، وشَرَّ الأمور مُحدثاتُهَا، وكُلَّ مُحدثة بدعة، وكُلَّ بدعة ضلالة، وكُلَّ ضلالة في النار.

أمَّا بعد؛ فهذا كتاب أسْمَيْتُه: **"معاملة العلماء"**، قسمته على خَمسة مقاصد، وقَدَّمت بين يديه مُقَدِّمة، وفِي آخره خَاتِمَة.

وأقسامه هي التالية:

- **الْمُقَدِّمة:** تَحديد أولِي الأمر، وأقسام العلماء.
- **الْمَقصد الأول:** صفة العَالِم.
- **الْمَقصد الثاني:** فضل العُلَمَاء.
- **الْمَقصد الثالث:** الأدب مع العُلَمَاء.
- **الْمَقصد الرابع:** حق العُلَمَاء.
- **الْمَقصد الْخَامس:** أضرار ضياع حق العُلَمَاء.
- **الْخَاتِمَة:** الْحَثُّ على لزوم العلماء.

هذا، وأسأل الله تعالَى التوفيق والْهُدَى، والرَّشَاد والسَّدَاد.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مقدمة: تَحديد أولِي الأمر وأقسام العلماء

الْحَديث عن الأمراء والعلماء هو حديث السَّاعَة!!.

والله ﷻ يقول: [النساء:٥٩].

وأولو الأمر هم: العُلَمَاء، والأمراء.

[فإذا أمَرُوا بِمَا أمر الله به ورسوله؛ وَجَبت طاعتهم، وإن تنازع الناس فِي شيء؛ وجب رَدُّهُ إِلَى الله والرسول، لا يرد إِلَى أحد دون الرُّسُل الذين أرسلهم الله، كما قال فِي الآية الأخرى:][(١)].

والعلماء ورثة الأنبياء:

ولَمَّا كانت الدعوة إِلَى الله والتبليغ عن رسوله شعار حزبه الْمُفلحين، وأتباعه من العَالَمين، كما قال تعالَى: [يوسف:١٠٨]. وكان التبليغ عنه من عين تبليغ ألفاظه وما جاء به وتبليغ معانيه؛ كان العلماء من أمته منحصرين فِي قسمين:

أحدهُمَا: حُفَّاظ الْحَديث وجَهَابذته، والقادة الذين هم أئمَّة الأنام وزَوَامل الإسلام، الذين حفظوا على الأئمَّة مَعَاقد الدين ومعاقله، وحَمَوا من التغيير والتكدير موارده ومناهله، حتَّى وَرَدَ مَنْ سبقت له من الله الْحُسنَى تلك الْمَنَاهل صافية من الأدناس، لَمْ تَشُبْها الآراء تغييرًا، ووَرَدُوا فيها عينًا يشرب بِهَا عبادُ الله يُفَجِّرُونَهَا تفجيرًا.

وهُم الذين قال فيهم الإمام أحْمَد بن حنبل فِي خطبته الْمَشهُورة فِي كتابه فِي "الرَّدِّ على الزَّنادقَة والْجَهميَّة":

"الْحَمْدُ لله الذي جعل فِي كل زمان فترة من الرُّسُل بقايا من أهل العلم يَدْعُون مَنْ ضَلَّ إِلَى الْهُدَى، ويصبرون منهم على الأذى، يُحيون بكتاب الله تعالَى الْمَوتى، ويُبَصِّرُون بنور الله أهل العمى، فَكَمْ مِنْ قتيل لإبليس أحيوه، وكَمْ مِنْ ضال تائه قد هَدَوه، فَمَا أحسن أثرهم على الناس، وما أقبح أثر الناس عليهم.

---

(١) ما بين المعقوفتين من كلام ابن تيمية فِي الْجَوَاب الصحيح (٢/٢٣٨).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ينفون عن كتاب الله تَحريف الغالين، وانتحال الْمُبطلين، وتأويل الْجَاهلين، الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عنان الفتنة، فهم مُختلفون فِي الكتاب، مُخَالفون للكتاب، مُجمعون على مُفَارقة الكتاب، يقولون على الله، وفِي الله، وفِي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالْمُتَشَابه من الكلام، ويَخْدَعُون جُهَّال الناس بِمَا يشبهون عليهم؛ فنعوذ بالله من فتنة الْمُضلين".

القسم الثاني: فُقَهَاء الإسلام ومَنْ دارت الفتيا على أقوالِهم بين الأنام، الذين خُصُّوا باستنباط الأحكام، وعُنوا بضبط قواعد الْحَلال والْحَرَام، فهم فِي الأرض بِمَنْزلة النجوم فِي السَّمَاء، بِهم يهتدي الْحَيران فِي الظلماء، وحَاجَة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إِلَى الطعام والشراب، وطاعتهم أفرض عليهم من طاعة الأمَّهَات والآباء بنَصِّ الكتاب، قال تعالَى: [النساء:٥٩].

قال عبد الله بن عبَّاس -فِي إحدى الروايتين عنه-، وجابر بن عبد الله، والْحَسَن البصري، وأبو العالية، وعطاء بن أبي رباح، والضَّحَّاك، ومُجَاهد -فِي إحدى الروايتين عنه- "أولو الأمر": هم العلماء. وهو إحدى الروايتين عن الإمام أحْمَد.

وقال أبو هريرة، وابن عباس -فِي الرواية الأخرى-، وزيد بن أسلم، والسُّدِّي، ومقاتل: هم الأمراء. وهو الرواية الثانية عن أحْمَد.

والتحقيق -كما قال ابن القيم رَحِمَه الله-: "إن الأمراء إنَّمَا يُطَاعَون إذا أمروا بِمُقتَضَى العلم، فطاعتهم تَبَعٌ لطاعة العُلَمَاء، فإنَّ الطَّاعَة إنَّمَا تكون فِي الْمَعرُوف وما أوجبه العلم، فكما أن طاعة العُلَمَاء تَبَعٌ لطاعة الرسول؛ فطاعة الأمراء تَبَعٌ لطاعة العلماء"[(١)].

والكتابة فِي مُعَاملة العلماء -صفة العالِم، وفضله، والأدب معه، وحقه، وأضرار ضياع حق العالِم- من الْمُهمَّات الَّتِي يَحتاجها الْمُسلم؛ إذ لا غنَى له عن

---

(١) إعلام الْمُوقعين (١/٨-١٠).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العُلَمَاء، يُعَلِّمُونه شرع الله تعالَى، ويرجع إليهم عند النَّوَازل وظهور الفتَن والْحَوَادث.

وإليك البيان:

المقصد الأول: صفة العالم

بعض الناس يستهين بالعلم والعُلَمَاء؛ فلا يَعرف قَدْرَ العلم، ولا حَقَّ العُلَمَاء، يظن أن العلم هو تكثير الكلام، وتَحسينه بالقصص والأشعار، والإكثار من الوعظ والرَّقَائق.

ومن الناس مَنْ يَتوَهَّم أنَّ العلماء هم هؤلاء الرءوس الذين يَخُوضُون فِي الأحداث، يتكلمون فيها بِمَا يُسَمُّونه "فقه الواقع"، يفتئتون على الأمراء والْحُكَّام، بلا هدى أو بصيرة.

ومن الناس مَنْ صار العلم عنده هو مُجَرَّد ما فِي الكتب، فلم يُلقِ بالاً إلَى حقيقة أنَّ هذا العلم نقل وفهم، والفهم مَحْكُوم بِمَا عليه طريقة الرَّعيل الأول والطراز الْمُكلل من الصَّحَابة والتابعين ومَنْ تبعهم بإحسان إلَى يوم الدين؛ فصار ينبز الاشتغال بالعلم، والْجُلُوس فِي حِلَقِ العلم عند العلماء، وما دَرَى أنَّ من العلم أبوابًا لا يَنالُهَا إلاَّ بمُشَافهة العُلَمَاء والأخذ عنهم.

ومن الناس مَن العلم عنده هو السَّفَر والانتقال لدعوة الناس بزعمه!! ويقول: لسنا بحَاجَة إلَى كتب جديدة، إنَّمَا نَحن بحَاجة إلَى دُعَاة ودَعْوَة، وما دَرَى الْمِسكِين أنَّ فاقد الشيء لا يُعطيه، وكيف تتم له الدَّعْوَة إلَى الدِّين وهو جاهل به، لَمْ يَثْنِ الرُّكَب على دروس العلم، ولَمْ يشام العلماء، ولَمْ يصحبهم، ولَمْ يُعْطِ العلم بعضه ولا كله، فهو منه فِي جدب وقحط.

ومن الناس مَنْ لا يُفَرِّق بين العالِم وبين القَاصِّ الواعظ، ولا بين طالب العلم والعالِم، فالكل عنده علماء يستفتيهم ويأخذ عنهم، بل قد يرى أن الواعظ كثير الكلام كثير العلم، بل قد يراه بعضهم أعلى درجة من العَالِم؛ لأنَّ العَالِم قليل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكلام، لا يَجري فِي ذلك الْمِضْمَار من القصص والأشعار، والتحليلات والأفكار!! ولله فِي خلقه شئون.

والْمُسلم بِحَاجَة إِلَى معرفة صفة العَالِم، كَمَا بيَّنها الله T فِي القرآن العظيم، من خلال الآيات القرآنيَّة الَّتِي ذكرت مواقف للعلماء يتبيَّن منها صفاتُهُم، وهي التالية:

١ - رد المتشابه إلى المحكم من صفات الراسخين في العلم:

قال الله -تبارك وتعالَى-: [آل عمران:٧].

فالعَالِم من صفاته الَّتِي قَرَّرَهَا القرآن أنه يَردُّ الْمُتَشَابه إِلَى الْمُحكَم، ولا يتبع الْمُتشَابه، وهذه الصفة مِمَّا يُميِّز أهل الْحَقِّ والْهِدَاية عن أهل الْهَوَى والضَّلال.

وقد جاء فِي الْحَديث ذكر الزجر والتحذير من الذين يتبعون الْمُتشَابه، عن عائشة ﵂ قالت: $تلا رَسُولُ الله ﷺ هذه الآية: [آل عمران:٧]. قالت: قال رسول الله ﷺ: **فإذا رَأيت الَّذين يتَّبِعُونَ مَا تشَابَهَ منهُ؛ فَأولئك الَّذِين سَمَّى الله فَاحْذَرُوهُم**#[(١)].

٢ - الخشوع والخضوع لأمر الله تعالى من صفات الذين أوتوا العلم:

قال الله -تبارك وتعالَى-: [الإسراء:١٠٧-١٠٩].

قال الله -تبارك وتعالَى-: [فاطر:٢٨].

والْخَشيَة لله صفة يورثها العلم به .

قال ابن تيمية -رَحِمَه الله-:

"وأمَّا العلم فيراد به فِي الأصل نوعان:

أحدهُمَا: العلم به نفسه، وبِمَا هو مُتَّصفٌ به من نعوت الْجَلال والإكرام، ومَا دَلَّتْ عليه أسْمَاؤه الْحُسنَى، وهذا العلم إذا رسخ فِي القلب؛ أوجب خشية الله لا

(١) أخرجه البخاري فِي كتاب التفسير، باب: منه آيات مُحكمات، رقم الْحَديث (٤٥٤٧)، ومسلم فِي كتاب العلم، باب: النهي عن اتباع مُتشابه القرآن، الْحَديث رقم (٢٦٦٥).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مَحَالة، فإنه لابد أن يعلم أن الله يُثيب على طاعته، ويُعَاقب على معصيته، كما شهد به القرآن والعيان.

وهذا معنَى قول أبي حيَّان التيمي -أحد أتباع التابعين-:

"العلماء ثلاثة:

- عالِمٌ بالله؛ ليس عالِمًا بأمر الله.
- وعالِمٌ بأمر الله؛ ليس عالِمًا بالله.
- وعَالِمٌ بالله، وبأمر الله.

فالعَالِمُ بالله الذي يَخشى الله، والعَالِم بأمر الله الذي يعرف الْحَلال والْحَرَام.

وقال رجل للشعبِي: أيها العالِم. فقال: إنَّمَا العَالِمُ مَنْ يَخشى الله".

وقال عبد الله بن مسعود: $كفى بِخَشية الله علمًا، وكفى بالاغترار بالله جهلاً#[1].

والنوع الثاني: يُرَاد بالعلم بالله: العلم بالأحكام الشرعيَّة، كما فِي الصحيح عن النَّبِي ﷺ أنه ترخص فِي شيء، فبلغه أن أقوامًا تنَزهوا عنه، فقال: **$مَا بَال أَقْوَام**

---

(١) أخرجه ابن الْمُبَارك فِي "الزهد" (ص١٥)، تَحت رقم (٤٦)، وأحْمَد فِي "الزهد" (ص١٩٧)، والطبراني فِي "الكبير" (٩/٢١١-٢١٢)، تَحت رقم (٨٩٢٧)، والبيهقي فِي "الْجَامع لشعب الإيْمَان" (٣/٣٤)، وفِي "الْمَدخل إلَى السنن الكبرى" (ص٣١٤)، تَحت رقم (٤٨٧)، كلهم من طريق القاسم بن عبد الرَّحْمَن، عن ابن مسعود.

قال فِي مَجمع الزوائد (٥/٢١٠): "القاسم لَمْ يدرك ابن مسعود". اهـ.

وأخرج نَحوه أبو نعيم فِي الْحِلِيَة (١/١٣١) من طريق عون، عن ابن مسعود، ولفظه: $ليس العلم من كثرة الْحَديث، ولكن العلم من الْخشيَة#. قال فِي مَجمع الزوائد (١٠/٢٣٥): "وإسناده جيد، إلا أن عونًا لَمْ يدرك ابن مسعود". اهـ.

وأخرجه الدَّارمي (١/٣٤٦)، تَحت رقم (٣٢٢) بلفظ: $كَفَى بالْمَرء علمًا أن يَخشى الله، وكَفَى بالْمَرء جهلاً أن يعجب بعلمه#. وصَحَّحَ إسناده عن مَسروق مُحَقق الدارمي.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يَتنَزهُونَ عَنْ أشيَاء أترَخَّص فيها، وَالله إني لأعلَمكُم بالله، وأخْشَاكُم لَه#[١].

وفِي رواية: $**والله إني لأخْشَاكُمْ لله، وأعْلَمكُم بِحُدُوده#**.

فجعل العلم به هو العلم بِحُدُوده.

وقريب من ذلك قول بعض التابعين فِي صفة أمير الْمُؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ حيث قال: $إن كان الله فِي صدري لعظيمًا، وإن كنت بذات الله لعليمًا#.

أراد بذلك أحكام الله؛ فإنَّ لفظ "الذات" فِي لغتهم لَمْ يكن كلفظ "الذات" فِي اصطلاح الْمُتَأخرين، بل يراد به ما يُضَاف إلَى الله، كما قال خبيب ﷺ:

وذَلكَ فِي ذَاتِ الإلهِ وَإنْ يَشَأ يُبَارِك عَلَى أوصَالِ شلْوٍ مُمَزَّع

ومنه الْحَديث: $**لَمْ يَكذب إبرَاهيم إلا ثلاث كَذبَات، كلهَا فِي ذَات الله#**[٢].

ومنه قوله تعَالَى: [الأنفال:١].

[الْحَديد:٦]. ونَحو ذلك.

فإن "ذات" تأنيث "ذو"، وهو يستعمل مُضَافًا يتوصل به إلَى الوصف بالأجناس، فإذا كان الْمَوصُوف مُذَكرًا قيل: ذو كذا. وإن كان مُؤَنثًا قيل: ذات كذا. كَمَا يُقَال: ذات سوار. فإن قيل: أصيب فلان فِي ذات الله، فالْمَعنَى فِي جهته ووجهته، أي: فيما أمر به وأحبه، ولأجله"[٣] اهـ.

---

(١) أخرجه البخاري فِي كتاب الأدب، باب: مَنْ لَمْ يُوَاجه الناس بالعتاب، حديث رقم (٦١٠١)، ومسلم فِي كتاب الفضائل، باب: علمه ﷺ بالله تعَالَى، حديث رقم (٢٣٥٦)، ولفظ مسلم: عن عائشة قالت: $صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أمْرًا فَتَرَخَّصَ فِيهِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ نَاسًا مِنْ أصْحَابِهِ فكأَنَّهُم كَرِهُوهُ، وَتَنَزَّهُوا عَنْهُ، فَبَلَغَهُ ذَلِكَ؛ فَقَامَ خَطِيبًا فَقَالَ: **مَا بَالُ رجَالٍ بَلَغهُمْ عنِّي أمْرٌ ترَخصْتُ فِيهِ، فَكَرِهُوهُ وتنَزَّهُوا عَنْهُ، فَوَالله لأنا أَعْلَمُهُمْ باللَّهِ، وأشدُّهُمْ لَهُ خَشيَةً#**.

(٢) أخرجه البخاري فِي كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قول الله تعَالَى: [النساء:١٢٥]. حديث رقم (٣٣٥٨)، ومسلم فِي كتاب الفضائل، باب: من فضائل إبراهيم الْخَليل ﷺ، حديث رقم (٢٣٧١).

(٣) مَجمُوع الفتاوى (٣/٣٣٣).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عن مسعر قال: سَمعتُ عبد الأعلى التيمي يقول: مَنْ أوتي مِن العلم ما لا يُبكيه؛ لَخَليق ألاَّ يكون أوتي علمًا ينفعه؛ لأن الله تعالَى نَعَتَ العلماء، ثُمَّ قرأ القرآن: إلَى قوله: [الإسراء:١٠٧-١٠٩](١).

قال الله -تبارك وتعالَى-: [الْحَج:٥٤].

عن أبي الدرداء قال: $لا تكون عَالِمًا حتَّى تكون مُتَعَلمًا، ولا تكون بالعلم عَالِمًا حتَّى تكُونَ به عَاملاً، وكَفَى بك إثْمًا ألاَّ تزال مُخَاصمًا، وكَفَى بك إثْمًا ألاَّ تزال مُمَاريًا، وكَفَى بك كَاذبًا أن لا تزال مُحدثًا فِي ذات الله #T (٢).

وعن سُفيَان قال : "كَانَ يُقَال: العُلَمَاء ثلاثة:

- عَالِم بالله يَخشى الله، ليس بعَالِم بأمر الله.
- وعَالِم بالله، عَالِم بأمر الله، يَخشى الله؛ فَذَاك العَالِم الكَامل.
- وعَالِم بأمر الله، ليس بعَالِم بالله، لا يَخشَى الله؛ فذلك العَالِم الفَاجر"(٣).

قال سفيان: "كَانَ يُقَال: اتقوا فتنة العَابد الْجَاهل، والعَالِم الفَاجر؛ فَإنَّ فتنتَهُمَا فتنة لكُلِّ مَفتُون"(٤).

٣- من صفات العالم زهده وتقلله من الدنيا ونذارته لقومه:

قال الله -تبارك وتعَالَى-: [القصص:٨٠].

قال الله -تبارك وتعَالَى-: [التوبة:١٢٢].

---

(١) أخرجه الدَّارمي (٢٩٩)، وابن أبي شيبة (٥٤٢/١٣)، وأبو نعيم فِي الْحِلية (٨٨/٥)، وقال مُحَقق سنن الدَّارمي: إسناده جيِّد. اهـ

(٢) أخرجه الدَّارمي فِي سُنَنه (٣٠١)، ووكيع فِي الزهد (٢٢٠)، والْخَطيب فِي اقتضاء العلم العمل (١٦)، وقَالَ مُحَقِّق سنن الدَّارمي: إسناده حسن. اهـ.

(٣) سنن الدَّارمي (٣٧٣/١)، تَحت رقم (٣٧٥)، الْجَرح والتعديل (٩١/١-٩٢)، وصَحَّحَ إسناده مُحَقِّق سنن الدارمي.

(٤) الْجَرح والتعديل (٩١/١-٩٢).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عن عمران الْمَنقري قال: قلت للحسن يومًا فِي شيء قاله: يا أبا سعيد، ليس هكذا يقول الفقهاء! فقال: وَيْحَك، ورأيت أنت فَقيهًا قط!! إنَّمَا الفقيه الزَّاهد فِي الدُّنيَا، الرَّاغب فِي الآخرة، البصير بأمر دينه، الْمُدَاوم على عبادة ربه"[١].

٤- ومن صفاتهم: أن علمهم في صدورهم آيات بينات، فهم على بصيرة من دينهم:

قال الله -تبارك وتعَالَى-: [العنكبوت:٤٩].

فعلمهم قال الله، قال رسوله، قال الصَّحَابة.

الْعِلْمُ قَالَ اللهُ قَالَ رَسُولُهُ ... قَالَ الصَّحَابَةُ لَيْسَ خلف فِيهِ
مَا الْعِلْمُ نصْبكَ للخِلافِ سَفَاهَة ... بَيْنَ الرَّسُولِ وَبَيْنَ رَأي سَفِيهِ
كَلاَّ وَلا نصْب الْخِلافِ جَهَالَة ... بَيْنَ النصُوصِ وَبَيْنَ رَأي فَقيهِ
كَلاَّ وَلاَ رَد النصُوص تعَمُّدًا ... حَذَرًا مِن التجْسِيمِ والتشْبِيهِ

ولذا وَصفهم الله بأَنَّهُم أهل الذكر، وأمَرَ بالرجوع إليهم حَال السؤال عَمَّا لا نعلم، فقال -تبارك وتعَالَى-: [الأنبياء:٧].

فعلمهم ليس بتطويل العبارة وفصاحتها، ولا بكثرة الكلام، ولا بكثرة الرِّوَاية.

عن أبي أمَامَةَ، عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **$الْحَيَاءُ وَالْعِيُّ شُعْبَتَانِ مِن الإِيْمَانِ، وَالْبَذَاءُ وَالْبَيَانُ شُعْبَتَانِ من النِّفَاق#**[٢].

---

(١) أخرجه الدَّارمي (٣٠٢)، وابن أبي شيبة (٤٩٨/١٣)، وأبو نعيم فِي الْحِلِيَة (١٤٧/٢)، ونعيم بن حَمَّاد فِي زياداته عَلَى الزهد لابن الْمُبَارك (٣٠)، والْخَطيب فِي الفقيه والْمُتفَقِّه (١٠٦٦-١٠٦٧). وقَالَ مُحَقِّق سنن الدَّارمي: إسناده صحيح. اهـ.

(٢) أخرجه أحْمَد فِي الْمُسنَد، ط. الرسالة (٦٤٩/٣٦)، حديث رقم (٢٢٣١٢)، والترمذي فِي كتاب البر والصلة، باب: مَا جَاءَ فِي العي، حديث رقم (٢٠٢٧). قال الترمذي: "هذا حديثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، إِنَّمَا نعرفه من حديث أبي غَسَّانَ مُحَمَّدِ بْنِ مُطَرِّفٍ" اهـ.
والسند رجاله ثقات، وفيه انقطاع؛ إذ حَسَّان بن عطيه رَاويه عن أبي أمامة لَمْ يسمع منه، كما =

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قَالَ أبو عيسَى الترمذي -رَحِمَه الله-:

"**والْعِيُّ**: قِلَّةُ الكَلام.

وَالْبَذَاءُ: هُوَ الْفُحْش فِي الكَلام.

وَالْبَيَانُ: هُوَ كَثرَة الكَلام، مثل هَؤلاء الْخُطَباء الَّذِينَ يَخْطُبونَ، فيوَسِّعُونَ فِي الكَلام، ويَتَفَصَّحُونَ فِيهِ مِنْ مَدْحِ النَّاسِ فِيمَا لا يُرْضي الله"(١) اهـ.

عن الْحَسَن البصري -رَحِمَه الله- قال: "لقد أدركتُ أقوامًا إن كان الرَّجُل منهم ليجلس مع القوم، فيرون أنه عيي، وما به من عي، إنه لفقيه مسلم"(٢).

=

حَرَّرَ ذلك مُحَقِّقو الْمُسنَد، فقد ضَعَّفوا الْحَديث بتَمَامه، لكن للمَتْن شاهد بتَمَامه عند الدَّارمي فِي سننه (١/٤٤١)، تَحت رقم (٥٢٦)، والبيهقي فِي السنن الكبرى (١٠/١٩٤)، وصَحَّحَ إسناده مُحَقِّق سنن الدَّارمي، وبه يرتقي الْحَديث إلَى الْحَسَن لغيره، وقد صَحَّحَ الألباني إسناده فِي سنن الترمذي (٢/١٩٩)، والله أعلم.

ولفظ الدَّارمي: "عن عَوْن بن عبد الله قَالَ: قُلْتُ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ: حَدَّثَنِي فُلانٌ -رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهﷺ- فَعَرَفَهُ عُمَرُ، قُلْتُ: حَدَّثَنِي أَنَّ رَسُولَ اللهﷺ قَالَ: **$إِنَّ الْحَيَاءَ وَالْعَفَافَ وَالْعِيَّ -عِيَّ اللِّسَانِ لا عِيَّ الْقَلْبِ- وَالْفِقْهَ مِن الإِيْمَانِ، وَهُنَّ مِمَّا يَزِدْنَ فِي الآخِرَةِ، وَيُنْقِصْنَ مِن الدُّنيَا، وَمَا يَزِدْنَ فِي الآخِرَةِ أَكثَرُ، وَإِنَّ الْبَذَاءَ وَالْجَفَاءَ وَالشُّحَّ مِنْ النِّفَاقِ، وَهُنَّ مِمَّا يَزِدْنَ فِي الدُّنيَا، وَيُنْقِصْنَ فِي الآخِرَةِ، وَمَا يُنْقِصْنَ فِي الآخِرَةِ أَكثَرُ#.**

ثُمَّ قَالَ الدَّارمي : "أخبَرنَا الْحُسَيْنُ بن مَنْصُورٍ: حَدَّثنا أبو أُسَامَةَ: حَدَّثَنِي سُلَيمَانُ بن الْمُغِيرَةِ قَالَ: قَالَ أبو قِلابَةَ: خَرَجَ عَلَينَا عُمَرُ بن عَبْدِ الْعَزِيزِ لِصَلاةِ الظُّهْرِ وَمَعَهُ قِرْطَاسٌ، ثُمَّ خَرَجَ عَلَينَا لِصَلاةِ الْعَصْرِ وَهُوَ مَعَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا هَذَا الْكِتَابُ؟ قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَدَّثَنِي بِهِ عَوْنُ بن عَبْدِ الله فَأَعْجَبَنِي، فَكَتَبْتُهُ، فَإِذَا فِيهِ هَذَا الْحَدِيثُ".

وقد ذكره أبو نعيم فِي الْحِلِيَة (٤/٢٤٨)، وجعله من كلام عون، وساقه فِي الْحِلِيَة (٣/١٢٥) من طريق إياس بن معاوية بن قرة، عن أبيه، عن جَدِّه، عن رسول اللهﷺ، وجعل قصة عمر بن عبد العزيز مع إياس بن قرة، وإسناده ضعيف.

(١) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب: ما جاء فِي العي.

(٢) أخرجه وكيع فِي كتاب الزهد (١/٣٠٧)، تَحت رقم (٨٠)، وأبو خَيثَمَة فِي كتاب العلم =

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قلت: فهذا كان حالَهُم -رضي الله عنهم وأرضاهم-، وإنَّمَا أسكتتهم الْخَشيَة لله، وكراهتهم للشهرة، وإنَّمَا علمهم فِي صدورهم آيات بيِّنات.

وقد روي عن بعض السلف قوله: "ليس العلم بكثرة الرِّوَاية، وإنَّمَا العَالِم مَن اتبع العلم، واستعمله، واقتدى بالسُّنن وإن كان قليل العلم"(١).

عن ابن وهب قال: **سَمعتُ مالك بن أنس يقول**: "ليس العلم بكثرة الرِّوَاية، ولكنه نور يَجعله الله فِي القلوب"(٢).

معناه: أنَّ الْخَشيَة لا تدرك بكثرة الرِّوَاية، وإنَّمَا العلم الذي فرض الله T أن يتبع فإنَّمَا هو الكتاب والسنَّة، وما جاء عن الصحابة ﭫ ومن بعدهم من أئمَّة الْمُسلمين، فهذا لا يُدرَك إلا بالرِّوَاية، ويكون تأويل قوله: "نور" يريد به: فهم العلم ومعرفة معانيه(٣).

عن عون بن عبد الله، عن ابن مسعود قال: $ليس العلم من كثرة الْحَديث، ولكن العلم من الْخَشيَة#(٤).

عن يَحيَى بن معين وسئل: "أيفتِي الرَّجُل من مائة ألف حديث؟ قال: لا. قلت: ومن مائتَي ألف؟ قال: لا. قلت: ثلثمائة؟ قال: لا. قلت: خَمسمائة ألف؟ قال: أرجو، وليس يكفيه إذا نصب نفسه للفتيا أن يَجمع فِي الكتب ما ذكره يَحيَى

=

(ص١٠)، تَحت رقم (٢٠)، وأحْمَد بن حنبل فِي الزهد (ص٣٢٠)، وقال مُحَقق الزهد لوكيع: رجاله ثقات، وإسناده متصل. اﻫ. **قلت**: فهو صحيح الإسناد.

(١) الْجَامع لشعب الإيْمَان (٤/٤٣٣)، تَحت رقم (١٦٨٤)، اقتضاء العلم العمل للخطيب (٢٤) مِمَّا يروى عن إبراهيم الْخَواص.

(٢) الْمُحَدث الفاصل (ص ٥٥٨)، الْجَامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/١٧٤).

(٣) انظر تفسير ابن كثير، عند تفسير قوله تَعَالَى: [فاطر:٢٨].

(٤) أخرجه الطبراني فِي الْمُعجم الكبير (٩/١٠٥)، تَحت رقم (٨٥٣٤)، وأبو نعيم فِي الْحِلية (١/١٣١)، وقال فِي مَجمع الزَّوَائد (١٠/٢٣٥): "إسناده جيِّد، إلا أنَّ عونًا لَمْ يُدرك ابن مسعود" اﻫ. وسبق عن ابن مسعود: $كَفَى بِخَشيَة الله علمًا#.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

دون معرفته به ونظره فيه وإتقانه له؛ فإن العلم هو الفهم والدراية، وليس بالإكثار والتوسع فِي الرِّوَاية"[١] اهـ.

قال قوام السنَّة الأصبهاني -رَحِمَه الله-: "وينبغي للمرء أن يَحذر مُحدثات الأمور؛ فإن كل مُحدثة بدعة، والسنَّة إنَّمَا هي التصديق لآثار رسول الله ﷺ وترك معارضتها بـــ: (كيف، ولِمَ).

والكلامُ والْخُصُومَات فِي الدِّين والْجِدَال مُحدَث، وهو يوقع الشك فِي القلوب، ويَمنع من معرفة الْحَق والصواب.

وليس العلم بكثرة الرِّوَاية، وإنَّمَا هو الاتباع والاستعمال، يقتدي بالصَّحَابة والتابعين، وإن كان قليل العلم، وَمَنْ خَالَفَ الصَّحَابة والتابعين؛ فَهُوَ ضَال، وإن كان كثير العلم"[٢] اهـ.

وقَالَ الذَّهَبِي -رَحِمَه الله-: "العلم ليس هو بكثرة الرِّوَاية، ولكنه نور يقذفه الله فِي القلب، وشرطه الاتباع، والفرار من الْهَوَى والابتداع، وفقنا الله وإياكم لطاعته"[٣] اهـ.

قال ابن رجب -رَحِمَه الله-: "وقد فُتِن كثير من الْمُتَأخرين بِهَذَا، وظنوا أنَّ مَنْ كثر كلامه وجداله وخصامه فِي مَسَائل الدِّين؛ فهو أعلم مِمَّن ليس كذلك، وهَذَا جهل مَحض، وانظر إلَى أكابر الصَّحَابة وعلمائهم كأبي بكر، وعمر، وعلي، ومعاذ، وابن مسعود، وزيد بن ثابت كيف كانوا؟ كلامهم أقل من كلام ابن عباس، وهم أعلم منه.

وكذلك كلام التابعين أكثر من كلام الصَّحَابة، والصَّحَابة أعلم منهم.

وكذلك تابعو التابعين كلامهم أكثر من كلام التابعين، والتابعون أعلم منهم.

---

(١) الْجَامع لأخلاق الرَّاوي وآداب السامع (ج/ ٢- ص١٧٤).

(٢) الْحُجَّة فِي بيان الْمَحَجَّة (٢/٤٣٧-٤٣٨).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٣/٣٢٣).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فليس العلم بكثرة الرِّوَاية، ولا بكثرة الْمَقَال، ولكنه نور يقذف فِي القلب يفهم به العبد الْحَقَّ، ويُميِّز به بينه وبين الباطل، ويعبر عن ذلك بعبارات وجيزة مُحَصلة للمقاصد، وقد كان ﷺ أوتِيَ جَوَامع الكلم، واختصر له الكلام اختصارًا"(١) اعليه السلام.

٥ - ومن صفاتهم: أنهم يرون أن الحق والهداية في اتباع ما أنزل من الله تعالى:

قال الله -تبارك وتعَالَى-: [سبأ:٦].

فلا يتبعون الرأي، و لا يتخذونه أصلاً لَهُم.

وهؤلاء هم الْجُهَّال الذين عَنَاهُم الرسول ﷺ فِي قوله فيما جاء عن عَبْدَ الله بن عَمْرِو بن الْعَاصِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: $**إنَّ الله لاَ يَقْبِضُ الْعِلْمَ انتِزَاعاً يَنْتَزِعُهُ مِنَ الناسِ، ولَكنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بقَبْضِ الْعُلَمَاء، حَتَّىَ إِذَا لَمْ يَتْرُكْ عَالِماً؛ اتَّخَذَ النّاسُ رُءُوسًا جُهَّالاً، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وأَضَلُّوا#**(٢).

ففي هذا الْحَديث تَحذير منهم، ومن اتِّخَاذهم مرجعًا للسؤال والفتوى، والْحُكم فِي النَّوَازل!!

ومن صور الرأي: اتِّخَاذ التحليلات الصحفيَّة، وتتبع الأخبار فِي الْمَجَلات، وجعلها أساسًا فِي نصح العَامَّة ووعظهم وإرشادهم.

ومن اتباع الرأي: حرص بعضهم على تواجده أثناء الأحداث بتعليق أو خطبة أو مُحَاضرة، وهذا كله رأي مَحض، والذين أوتو العلم يعلمون أن ما أنزل الله T هو الْحَق، وأنه يهدي إِلَى صراط العزيز الْحَميد.

فَمِنْ صفات العلماء: تركهم للتقليد، فإنَّ الْمُقَلد يأخذ بقول غيره دون حُجَّة،

---

(١) فضل علم السَّلَف عَلَى علم الْخَلَف (ص٦٢-٦٣).

(٢) أخرجه البخاري فِي كتاب العلم، باب: كيف يقبض العلم، حديث رقم (١٠٠)، ومسلم فِي كتاب العلم، باب: رفع العلم وقبضه، وظهور الْجَهل والفتَن، حديث رقم (٢٦٧٣).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهو غير الْمُتبع؛ فإنَّ الاتباع أخذ بقول مَنْ أوجب عليك الدَّليل اتباع قوله[١]، والعلم ما تبيَّن واستيقن، والْمُقَلد لا يعلم حُجَّة؛ فلا علم عنده.

فإن قيل: هل مَعنَى هذا أنَّ الْمُقَلد ليس بعَالِم؟

فَالْجَوَاب: نعم، الْمُقَلد ليس بعَالِم، وقد نقل بعض أهل العلم الإجْمَاع على ذلك؛ لكن هنا تفصيل لابد من الانتباه له:

الْمَوصُوفون بالعلم عند عَامَّة الناس على أقسام:

القسم الأول: الذي درس الْمَذهب والتزمه دون اعتبار للدليل الْمُوَافق أو الْمُخَالف، فالأصل عنده هو الْمَذهب، وكل آية أو حديث تُخَالف الْمَذهب؛ فهي إمَّا منسوخة، أو مُؤَوَّلَة، يتَعَصَّب للمذهب تعصبًا شديدًا.

فهؤلاء هُم الْمُقَلدة الذين يعنيهم أهل العلم بنَزع صفة العلم عنهم.

القسم الثاني: الذي يدرس الْمَذهب ويلتزمه مع اعتبار الدليل.

وهم نوعان:

النوع الأول: مَنْ يُقَلد الْمَذهب ابتداءً، فإن وجد الدليل على خلافه؛ أخذ بالدليل.

وهذا بدأ مقلدًا، وانتهى متبعًا.

النوع الثاني: مَن اتبع الْمَذهب بالدليل ابتداءً، يدرس الْمَسألة مع دليلها، ويأخذ بِهَا اتباعًا، فإن تبيَّن له الدليل على خلاف الْمَذهب؛ أخذ بالدليل.

فهذا حقيقة أمره أنه مُتبع، وليس بمُقَلد.

القسم الثالث: مَنْ أخذ بالدليل ابتداءً، مع نظره ودرسه فِي أصول مذهب مُعيَّن، أو فِي الْمَذَاهب وأصولِها، ونظره فِي أدلتها، وهو إن نسب إلَى مذهب؛ إنَّمَا ينسب إليه باعتبار أن أكثر دراسته وأصحابه على هذا الْمَذهب؛ ولأنه إذا لَمْ يقف فِي الْمَسألة على دليل؛ اتبع دليل الْمَذهب الذي عليه أصحابه.

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/١١٧).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فهذا هو الْمُجتَهد الْمُقيَّد والْمُطلق، بحَسب حاله فِي نظره واجتهاده.

فتأمل هذه الأقسام الثلاثة، ومدى انطباقها على ما جاء ذكره فِي حديث الرسول ﷺ لَمَّا ذكر مَثَلَ ما بعثه به من الْهُدَى والعلم.

عَنْ أبِي مُوسَى، عَنْ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: $**مَثَلُ مَا بَعَثَنِي الله بِهِ مِن الْهُدَى وَالْعِلْم كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نقِيَّةٌ قَبلَتْ الْمَاءَ، فَأنبَتَت الْكَلأ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أمْسَكَت الْمَاءَ، فَنَفَعَ الله بهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا، وَسَقَوْا، وَزَرَعُوا، وأصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ، لا تُمْسكُ مَاءً، وَلا تنبتُ كَلأً؛ فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ الله، وَنفَعَهُ مَا بَعَثَنِي الله بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى الله الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ**#[1].

٦ - أنهم يعقلون الأمثال التي يضربها الله في القرآن الكريم:

قال الله -تبارك وتعَالَى-: [العنكبوت:٤٣].

٧ - أنهم أهل الاستنباط والفهم:

قال الله -تبارك وتعَالَى-: [النساء:٨٣].

وقال أبو حَاتِم الرَّازي -رَحِمَه الله-: "العلم عندنا مَا كَانَ عن الله تعَالَى من كتاب ناطق ناسخ غير منسوخ، وَمَا صَحَّت به الأخبار عن رَسُول الله ﷺ مِمَّا لا مُعَارِض له، وما جاء عن الألباء من الصَّحَابة ما اتفقوا عليه، فإذا اختلفوا؛ لَمْ يُخرج من اختلافهم.

فإذا خفي ذلك، ولَمْ يُفهَم؛ فَعَنْ التابعين.

---

(١) أخرجه البخاري فِي كتاب العلم، باب: فضل من علم وعمل، حديث رقم (٧٩)، ومسلم فِي كتاب الفضائل، باب: بيان مثل ما بعث به النَّبي ﷺ، حديث رقم (٤٢٣٢). وعقبه عند البخاري: "قَالَ أبو عبد الله: قَالَ إسحَاق: $**وكَانَ مِنْهَا طَائِفَةٌ قَيلَت الْمَاءَ**#. قَاعٌ يَعْلُوهُ الْمَاءُ. و**الصَّفْصَفُ**: الْمُستَوي مِن الأرض". اﻫ.

فإذا لَمْ يوجد عن التابعين؛ فَعَنْ أئمَّة الْهُدَى من أتباعهم، مثل أيوب السختياني، وحَمَّاد بن زيد، وحَمَّاد بن سلمة، وسفيان، ومالك، والأوزاعي، والْحَسَن بن صَالِح.

ثُمَّ ما لَمْ يوجد عن أمثالِهم؛ فَعَنْ مثل عبد الرَّحْمَن بن مهدي، وعبد الله بن الْمُبَارك، وعبد الله بن إدريس، ويَحيَى بن آدم، وابن عيينة، ووكيع بن الْجَرَّاح.

ومن بعدهم: مُحَمَّد بن إدريس الشافعي، ويزيد بن هارون، والْحُمَيدي، وأحْمَد بن حنبل، وإسحاق بن إبراهيم الْحَنظلي، وأبي عُبيد القاسم بن سَلاَّم". انتهى.

قال ابن قيم الْجَوزيَّة -رَحِمَه الله- مُعَقبًا على كلام أبي حاتِم: "فهذا طريق أهل العلم وأئمَّة الدِّين جعل أقوال هؤلاء بدلاً عن الكتاب والسنَّة وأقوال الصَّحَابة بمَنْزلة التيمم، إنَّمَا يُصَار إليه عند عدم الْمَاء، فَعَدل هؤلاء الْمُتأخرُون الْمُقَلدُون إلَى التيمم والْمَاء بين أظهرهم أسهل من التيمم بكثير"[1] اهـ.

فإن قيل: أهل الرأي يستنبطون، فكيف يكون هذا من صفة العلماء؟!

فَالْجَوَاب: الاستنباط الْمُعتبَر صفةً للعَالِم هو القائم على أصول أهل العلم، الْمُستَمد من القرآن العظيم والسنَّة الْمُطَهَّرة على ضوء فهم السَّلَف الصَّالِح -رضوان الله عليهم-.

وأصحاب الرأي تَختلف أصولُهُم فِي النظر والاستنباط عن هذه الْجَادَّة، فَهُمْ ينتزعون استنباطهم من القرآن العظيم والسنَّة النبويَّة على أساس اللغة.

ومنهم مَنْ ينتزعها على أساس اللغة والعقل.

ومنهم مَنْ ينتزعها من القرآن والسنَّة على أساس الإشارات والإشراقات القلبيَّة بزعمهم!!

ومنهم مَنْ ينتزعها على أساس فقه آل البيت دون غيرهم.

---

(١) إعلام الْمُوَقعين (٢/٢٤٨).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فهذا استنباط على غير الْجَادَّة.

والاستنباط الْمُعتبَر أصحابه من العلماء ما كان انتزاعه من الكتاب والسنَّة على ضوء فهم السلف.

فَهُمْ أهل الاستنباط عند نزول النوازل وعند الفتَن والْحَوَادث، يعرفون الفتنة إذا أقبلت، أمَّا إذا أدبرت فإنه يعرفها أي أحد.

عن زريك عن أبي السليل: "أتيت صلة بن أشيم، فقلت: يا صلة، عَلِّمْنِي مِمَّا عَلَّمَكَ الله. قال: أنت اليوم مثلي أو نَحوي يوم أتيت أصحاب النَّبِي ﷺ. قلت: عَلِّمْنِي مِمَّا عَلَّمَكَ الله. قال: انصح للقرآن والْمُسلمين، وارغب فِي دعاء الله ما استطعت، ولا تكن قتيل العصا، قتيل آل فلان وآل فلان، وإيَّاكَ وقومًا يقولون: نَحن الْمُؤمنون، وليسوا من الإيْمَان فِي شيء، وهم الْحَرُورِيَّة".

قال زريك: فسمعت الْحَسَن يقول: "الفتنة إذا أقبلت عرفها كل عَالِم، وإذا أدبرت عرفها كل جاهل"[1].

(١) أخرجه ابن سعد فِي طبقاته (١٦٦/٧)، والبخاري فِي التاريخ الكبير (٣٢١/٤)، وأبو نعيم فِي الْحِلِيَة (٢٤/٩).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المقصد الثاني: فضل العلماء

للعلماء فضائل كثيرة وردت فِي القرآن العظيم والسنَّة النبويَّة، والله ﷻ يقول: [الزمر:٩].

ومن فضائلهم:

١ - أنه لصبرهم وتقواهم كانت لَهُم الإمامة فِي الدِّين:

قال الله -تبارك وتعَالَى-: [البقرة:٢٤٧].

فَبيَّنَ لَهُم نبيهم -عليه الصَّلاة والسَّلام- أن الله اصطفاه عليهم، ونوَّه إلَى اتصافه بالبسط فِي العلم والْجِسْم، ففي هذا إشارة إلَى أنَّ ذلك من أوصاف مَنْ يكون قائدًا.

[السجدة:٢٤].

قال ابن تيمية -رَحِمَه الله-: "جعل الإمامة فِي الدِّين مَورُوثة عن الصبر واليقين بقوله فِي السَّجْدَة: [السجدة:٢٤]. فَإنَّ الدِّينَ كله علم بالْحَقِّ، وعَمَل به؛ فالعمل به لابد فيه من الصبر، بل وطلب علمه يَحتاج إلَى الصبر، كَمَا قال مُعَاذ بن جبل: $عليكم بالعلم؛ فإن طلبه لله عبادة، ومعرفته خَشيَة، والبحث عنه جهَاد، وتعليمه لِمَنْ لا يعلمه صَدَقَة، ومُذَاكرته تسبيح، به يُعْرَف الله ويُعبَد، و به يُمَجد ويُوَحَّد، يرفع الله بالعلم أقوامًا، يَجعلهم للناس قَادَة، وأئمَّة يهتدون بِهم، وينتهون إلَى رأيهم#"[1].

---

(١) عَلَّقَهُ الآجري -رَحِمَه الله- فِي كتابه "أخلاق العلماء" (ص٣٤)، وصَدَّرَه بقوله: "روي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه". اهـ.

وأسنده عن مُعَاذ فِي حلية الأولياء (١/٢٣٩) فِي سياق طويل، وابن عبد البَرِّ فِي "جامع بيان العلم وفضله" (١/٥٥)، بسند من طريق أبي عصمة، عن رجل سَمَّاه، عن رجاء، وهذا أثر سنده سند موضوع فيه أبو عصمة نوح بن أبي مَريَم كَذَّاب، والرجل مبهم.

ورواه ابن عبد البَرِّ فِي "جامع بين العلم وفضله" (١/٥٤)، عن مُعَاذ، قال رسول الله ﷺ ... فِي سياق طويل، وقال: "هو حديث حسن جدًّا، ولكن ليس له إسناد قوي". اهـ.

=

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فجعل البحث عن العلم من الْجِهَاد، ولابد فِي الْجِهَاد من الصبر؛ ولِهَذَا قال تعَالَى: [العصر:١-٣].

وقال تعَالَى فِي (ص): ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [ص:٤٥]. فالعلم النافع هو أصل الْهُدَى، والعمل بالْحَقِّ هو الرَّشَاد، وضد الأول هو الضلال، وضد الثاني هو الغي:

فالضلال: العمل بغير علم.

والغي: اتباع الْهَوَى.

قال تعالى: [النجم:١-٢].

فلا يُنال الْهُدَى إلا بالعلم، ولا يُنال الرَّشَاد إلا بالصَّبر؛ ولِهَذَا قال عَليٌّ: $ألا إنَّ الصَّبر من الإيْمَان بِمَنْزلة الرأس من الْجَسَد، فإذا انقطع الرأس؛ بَانَ الْجَسَد، ثُمَّ رفع صوته، فقال: ألا لا إيْمَان لِمَنْ لا صبر لَهُ#[(١)]" [(٢)].

وقال -رَحِمَه الله-: "وكلام الإمام أحْمَد فِي هذا الباب جار على كلام مَنْ تقَدَّم من أئمَّة الْهُدَى، ليس له قول ابتدعه، ولكن أظهر السنَّة وبيَّنهَا، وذَبَّ عنها، وبيَّنَ حال مُخَالفيها، وجَاهَدَ عليها، وصَبَر عَلَى الأذى فيها لَمَّا أظهرت الأهواء والبدع.

وقد قال الله تعَالَى: [السجدة:٢٤].

فالصبر واليقين بِهِمَا تُنال الإمامة فِي الدِّين، فَلَمَّا قام بذلك؛ قرنت باسْمِه من

=

قلت: فِي السند عبد الرحيم بن زيد العمي، عن أبيه. وعبد الرحيم متروك، ووالده ضعيف كما فِي التقريب لابن حجر؛ فالسند ضعيف جدًّا، فَالْحَديث لا يصح موقوفًا ولا مَرفُوعًا، والله الْمُوَفِّق.

(١) أخرجه أبو نعيم فِي الْحِلِيَة (١/٧٥-٧٦)، وفِي السند ثابت بن أبي صفية ضعيف رافضي، كَمَا فِي التقريب.

(٢) التحفة العراقية فِي الأعمال القلبيَّة (ص٣٥٤- ٣٥٦).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإمامة فِي السنَّة ما شهر به، وصار متبوعًا لِمَنْ بعده، كَمَا كَانَ تابعًا لِمَنْ قبله، وإلاَّ فالسنَّة هي ما تَلَقَّاهُ الصَّحَابة عن رسول الله، وتلَقَّاهُ عنهم التابعون، ثُمَّ تابعوهم إلَى يوم القيامة، وإن كان بعض الأئمَّة بِهَا أعلم، وعليها أصبر، والله I أعلم وأحكم، والله أعلم"(١) اعليها.

٢ - أن طاعتهم من طاعة الله ورسوله ﷺ:

قال الله -تبارك وتعَالَى-: [النساء:٥٩].

و أولو **الأمر هم**: الأمراء، والعلماء.

فطاعة العُلَمَاء تبع لطاعة الله ورسوله ﷺ.

وطاعة الأمراء تبع لطاعة العلماء.

فإنَّ باب الْخُرُوج على الأمراء والْحُكَّام هو العلماء، فإن أضيع حق العلماء؛ ضاع حق الأمراء، وإذا ضاع حق العلماء والأمراء؛ خرج الناس عليهم؛ فحياة العالِم وصلاحه حياة العالَم وصلاحه! فإذا ضاعت حقوق العلماء؛ ضاعت حقوق الأمراء، وإذا ضاعت حقوق العلماء والأمراء؛ فسد العالَم!!

٣ - أنَّ الرَّدَّ إليهم عند نزول النوازل لِمَا خَصَّهم الله به من القدرة عَلَى الاستنباط:

قال الله -تبارك وتعَالَى-: [النساء:٨٣].

ففي الآية الرجوع إليهم عند نزول النوازل وطلب حكمها، وترك الافتئات عليهم، والتقَدُّم عليهم فيها.

وفِي الآية أنَّ الرجوع إلَى أهل الرأي رَد لِمَا أمر الله T به من الرَّدِّ إلَى العُلَمَاء الذين يستنبطونه؛ لأنَّ أهل الرأي ليسوا من أهل الاستنباط.

٤ - ومن فضلهم أنه قرنت شهادتُهم بشهادة الله تعَالَى والْمَلائكة:

قال الله -تبارك وتعَالَى-: [آل عمران:١٨].

٥ - ومن فضلهم أن اتباعهم يهدي إلَى الصِّراط السوي:

---

(١) مَجْمُوع الفتاوى (٣/٣٥٨).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال الله -تبارك وتعَالَى-: [مريَم:٤٣].

وقال -تبارك وتعَالَى-: [الأنعام:١٥٣].

عَنْ عبد الله بن مَسْعُودٍ قَالَ: $خَطَّ لَنَا رَسُولُ الله ﷺ خَطًّا، ثُمَّ قَالَ: **هَذَا سَبِيلُ الله، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ سُبُلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ، ثُمَّ قَرَأَ:** [الأنعام:١٥٣]#[(١)].

فَمَن اتبع العُلَمَاء اتبع الصِّرَاط الْمُستقيم، ومَنْ خَالَفَ العُلَمَاء، وأضاع حَقَّهُم؛ فقد خرج إِلَى سبيل الشيطان، فَفَارَق الصِّرَاط الْمُستقيم الذي عليه الرسول ﷺ وأتباعه.

قال مُحَمَّد بن الْحُسَين الآجري -رَحِمَه الله-: "فما ظنكم -رَحِمَكُم الله- بطريق فيه آفات كثيرة، ويَحتاج الناس إِلَى سلوكه فِي ليلة ظلماء، فإن لَمْ يكن فيه ضياء وإلا تَحيَّروا؛ فقيَّضَ الله لَهُم فيه مَصَابيح تضيء لَهُم، فسلكوه على السلامة والعافية.

ثُمَّ جاءت طبقات من الناس لابد لَهُم من السلوك فيه فسلكوا، فبينما هم كذلك إذ طفئت الْمَصَابيح، فبقوا فِي الظلمة؛ فما ظنكم بِهم؟!

هكذا العلماء فِي الناس، لا يعلم كثير من الناس كيف أداء الفرائض، ولا كيف اجتناب الْمَحَارم، ولا كيف يعبد الله فِي جَميع ما يعبده به خلقه؛ إلا ببقاء العلماء، فإذا مات العالِم تَحيَّر الناس، ودرس العلم بِمَوتِهم، وظهر الْجَهل، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، مصيبة ما أعظمها مصيبة"[(٢)] اعليهم السلام.

٦- ومن فضلهم أَنَّهُم ورثة الأنبياء:

---

(١) أخرجه الطيالسي فِي مسنده (ص٣٣)، تَحت رقم (٢٤٤)، وأحْمَد فِي الْمُسنَد (١/٤٣٥)، والدَّارمي فِي السنن (١/٢٨٥)، تَحت رقم (٢٠٨)، وابن حبَّان فِي صحيحه - الإحسان (١/١٨١)، تَحت رقم (٧)، والْحَاكم - علوش (٢/٦١٧)، تَحت رقم (٢٩٩٢)، (٣/٤٦-٤٧)، تَحت رقم (٣٢٩٤)، والْحَديث صَحَّحَه ابن حبَّان والْحَاكم، وحَسَّنه مُحَقق الإحسان، ومُحَقق سنن الدارمي، وهو حديث حسن.

(٢) أخلاق العلماء للآجري (ص٢٨-٢٩).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: $**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا؛ سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَالْمَلائِكَةُ تَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الأَرْضِ، والْحِيتَانِ فِي الْمَاءِ، وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنبِيَاءِ، إِنَّ الأَنبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا، وَأَورَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ؛ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**#[1].

---

(١) أخرجه أَحْمَد فِي الْمُسنَد (٥/١٩٦)، والدَّارمي (١/٣٦١)، حديث رقم (٣٥٤)، والترمذي فِي كتاب العلم، باب: ما جاء فِي فضل الفقه عَلَى العبادة، حديث رقم (٢٦٨٢)، وأبو داود فِي كتاب العلم، باب: الْحَث على طلب العلم، حديث رقم (٣٦٤١)، وابن ماجه فِي الْمُقَدِّمة، باب: فضل العلماء، والْحَث على طلب العلم، حديث رقم (٢٢٣)، وابن حبَّان فِي صحيحه (الإحسان ١/٢٨٩)، تَحت رقم (٨٨)، واللفظ له.

قال الترمذي عقبه: "وَإِنَّمَا يُرْوَى هَذَا الْحَدِيثُ عن عاصم بن رَجَاء بن حَيْوَةَ، عن داود بن جَميل، عن كثير بن قيس، عن أبي الدَّرْدَاء، عن النَّبِيِّ ﷺ، وهَذَا أَصَحُّ من حَديث مَحْمُود بن خِدَاشٍ، ورأيُ مُحَمَّد بن إسْمَاعيل هَذَا أَصَحُّ". اهـ.

وداود بن جَميل ضعيف، وكثير بن قيس ضعيف، كَمَا فِي التقريب.

لَكن سَاقَهُ أبو دَاود من طريق آخر، فَقَالَ: "حَدَّثَنا مُحَمَّدُ بن الْوَزير الدِّمَشْقِيُّ: حَدَّثَنا الْوَليدُ قَالَ: لَقِيتُ شَبِيبَ بن شَيبَةَ فَحَدَّثَني بِهِ عن عُثْمَانَ بن أبي سَوْدَةَ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاء، يَعْني: عن النَّبِيِّ ﷺ بمَعنَاهُ". اهـ.

قلت: شبيب بن شيبة صدوق يهم فِي الْحَديث، كَمَا فِي التقريب، ولَمْ يُعَد هَذَا فِي أَوْهَامِهِ، وتوبع كَمَا رأيت فِي السَّند مُتابَعَة قَاصرة فِي الصَّحَابي، تابعه داود بن جَميل، وللحَديث شَوَاهد، منها حديث أبي أمَامَة وسيأتي قريبًا.

وأورد البخاري فِي صحيحه فِي كتاب العلم، باب: العلم قبل القول والعمل، منه قوله: $**إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنبِيَاءِ، إِنَّ الأَنبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا، وَأَورَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ؛ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**#. ولَمْ يفصح البخاري بكونه حَديثًا، فلهذا لا يُعَد فِي تعَاليقه، لكن إيراده لَهُ يُشعر بأَنَّ لَهُ أصلاً، وصَحَّحَه كَمَا رأيت ابن حبَّان.

وقال ابن حجر فِي "فتح الباري" (١/١٦٠): "أخرجه أبو داود، والترمذي، وابن حبَّان، والْحَاكم مُصَححًا، من حديث أبي الدَّرْدَاء، وحَسَّنه حَمزة الكناني، وضَعَّفه عندهم سنده، لكن له شواهد =

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال أبو حَاتِم بن حبَّان رحمه الله: "فِي هَذَا الْحَديث بيان واضح أنَّ العُلَمَاء الذين لَهُم الفضل الذي ذكرنا هُم الذين يعلمون علم النَّبي ﷺ دون غيره من سائر العلوم، ألا تراه يقول: $**الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأنبيَاء**#. والأنبياء لَمْ يُوَرِّثوا إلاَّ العلم، وعلم نبينا ﷺ سنته، فَمَنْ تعَرَّى عن معرفتها؛ لَمْ يكن من ورثة الأنبياء"(١) اهـ.

قال ابن القيم -رَحِمَه الله-: "قوله: $**إنَّ الأنبيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا، وَأورَثُوا الْعِلْمَ**#. هذا من كمال الأنبياء، وعظم نصحهم للأمم، وتَمَام نعمة الله عليهم وعلى أمَمِهِم أن أزاح جَميع العلل، وحَسَمَ جَميع الْمَوَاد الَّتِي توهم بعض النفوس أنَّ الأنبياء من جنس الْمُلوك الذين يريدون الدُّنيَا وملكها، فَحَمَاهُم الله I من ذلك أتَم الْحِمَاية.

ثُمَّ لَمَّا كان الغالب على الناس أن أحدهم يريد الدُّنيَا لولده من بعده، ويسعى ويتعب ويَحرم نفسه لولده؛ سَدَّ هذه الذريعة عن أنبيائه ورسله، وقطع هذا الوهم الذي عَسَاهُ أن يُخَالط كثيرًا من النفوس الَّتِي تقول: فلعله إن لَمْ يطلب الدنيا لنفسه؛ فهو يُحَصِّلها لولده، فقال: $**نَحْنُ مَعَاشر الأنبيَاء لاَ نورَث مَا تركنا هو صَدَقَة**#. فلم تورث الأنبياء دينَارًا ولا دِرْهَمًا، وإنَّمَا وَرَّثوا العلم.

وأمَّا قوله تعَالَى: [النمل:١٦]. فهو ميراث العلم والنبوة لا غير، وهذا باتفاق أهل العلم من الْمُفَسِّرين وغيرهم؛ وهذا لأن داود u كان له أولاد كثيرة سوى سليمان، فلو كان الْمَوروث هو الْمَال؛ لَمْ يكن سليمان مُختصًّا به.

وأيضًا فإنَّ كلام الله يُصَان عن الإخبار بِمثل هذا؛ فإنه بِمَنْزلة أن يقال: مات فلان، وورثه ابنه، ومن الْمَعلوم أن كل أحد يرثه ابنه، وليس فِي الإخبار بِمثل هذا فائدة.

وأيضا فإن ما قبل الآية وما بعدها يُبيِّن أن الْمُرَاد بِهَذه الوراثة وراثة العلم

=

يتَقَوَّى بهَا". اهـ. وحَسَّنه بشَوَاهده مُحَقق الإحسان.

(١) الإحسان بتقريب صحيح ابن حبَّان (١/٢٩٥)، تَحت رقم (٨٨).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والنبوة، لا وراثة الْمَال، قال تعَالَى: [النمل:١٥-١٦].

وإنَّمَا سيق هذا لبيان فضل سليمان، وما خَصَّهُ الله به من كرامته وميراثه ما كان لأبيه من أعلى الْمَوَاهب، وهو العلم والنبوة: [النمل:١٦].

وكذلك قول زكريا -عليه الصَّلاة والسَّلام-: [مَرِيَم:٥-٦]. فهذا ميراث العلم والنبوة والدَّعْوَة إلَى الله، وإلاَّ فلا يُظن بنبِي كريْم أنه يَخَاف عصبته أن يرثوه ماله، فيسأل الله العظيم وَلَدًا يَمنعهم ميراثه، ويكون أحق به منهم، وقد نَزَّه الله أنبياءه ورسله عن هذا وأمثاله، فبعدًا لِمَنْ حَرَّف كتاب الله، ورَدَّ على رسوله كلامه، ونسب الأنبياء إلَى ما هُم برآء مُنَزَّهُون عنه، والْحَمْدُ لله على توفيقه وهدايته"[١] عليهم السلام.

فالعلماء ورثوا العلم، فَبِهِ يَسُوسُون العباد والبلاد والْمَمَالك، فَمَوتُهُم فَسَاد لنظام العَالَم.

٧- أنَّهُم مِمَّن أراد الله T بهم الْخَير:

عَنْ مُعَاوِيَة رضي الله عنه، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **$مَنْ يُرِدِ الله بِهِ خَيْرًا؛ يُفَقهه فِي الدِّين#**[٢]. فَالعَالِم مِمَّن أراد الله به خيرًا.

والعلماء ثلاثة: عَالِمٌ بالله وبأمره، عَالِمٌ بالله غير عَالِمٍ بأمره، عَالِمٌ بأمره غير عَالِمٍ به.

وقال علي بن خشرم: "سَمعتُ ابن عيينة يقول: قال بعض الفقهاء: كان يقال العلماء ثلاثة: عَالِمٌ بالله، عَالِمٌ بأمر الله، وعَالِمٌ بالله وبأمر الله.

وأمَّا العَالِم بأمر الله فهو الذي يعلم السنَّة ولا يَخَاف الله.

وأمَّا العَالِم بالله فهو الذي يَخاف الله، ولا يعلم السنَّة.

---

(١) مُفتاح دار السعادة (١/٦٦-٦٧).

(٢) أخرجه البخاري فِي كتاب العلم، باب: مَنْ يرد الله به خيرًا، حديث رقم (٧١)، ومسلم فِي كتاب الزكاة، باب: النهي عن الْمَسألة، حديث رقم (١٠٣٧).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأمَّا العَالِم بالله وبأمر الله فهو الذي يعلم السنَّة، ويَخَاف الله؛ فذاك يدعى عظيمًا فِي ملكوت السَّمَوَات"(١).

٨- إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين يُصَلون على مُعَلم الناس الْخَير:

عن أبي أمَامَةَ البَاهليِّ قَالَ: $ذُكِرَ لِرَسُول الله ﷺ رَجُلان: أحَدُهُمَا عَابدٌ، والآخَرُ عَالِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ. ثُمَّ** قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **إِنَّ الله وَمَلائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ#** (٢).

قَالَ الفُضَيلُ بن عِيَاض: "عَالِمٌ عَامِلٌ مُعَلِّمٌ يُدْعَى كَبِيرًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَات"(٣).

٩- أنَّ العَالِم لا ينقطع عَمَله ما بقي علمه ينتفع به الناس:

عن أبي هُرَيْرَةَ أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: $**إِذَا مَاتَ الإنسَانُ انقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إلاَّ مِنْ ثَلاثَةٍ: إلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أو عِلْم يُنتَفَعُ بِهِ، أو وَلَد صَالِح يَدْعُو لَهُ#**(٤).

والْحَديث يَدلُّ على أنَّ عَمَل العَالِم والثواب عليه لا ينقطع بِمُجَرَّد موته، ما دام الناس ينتفعون بعلمه، وهذا يشمل ما خلفه من تعليم علمه للناس، وما خلفه من تصانيف ينتفع بِهَا الناس، ويشمل فِي زماننا ما فِي حكم التصانيف من دروس

---

(١) حلية الأولياء (٧/٢٨٠)، شُعَب الإيْمَان (٤/٤٧٧)، تَحت رقم (١٧٧٤).

(٢) أخرجه الترمذي فِي كتاب العلم، باب: ما جاء فِي فضل الفقه على العبادة، حديث رقم (٢٦٨٦)، وأخرجه الدَّارمي فِي مُقَدِّمة سننه (١/٣٣٤)، حديث رقم (٣٩٧) مُرسَلاً عن مكحول، عن رسول الله ﷺ بنحوه، وعن أبي أمامة أخرجه الطبراني فِي الكبير (٨/٢٧٨)، تَحت رقم (٧٩١١)، وقال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب صحيح". وأشار إِلَى حُسنه مُحَقق سنن الدارمي. وإسناد حسن.

(٣) أخرجه الترمذي فِي سننه فِي كتاب العلم، باب: فضل الفقه على العبادة.

(٤) أخرجه مسلم فِي كتاب الوصية، باب: ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، حديث رقم (١٦٣١).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفتاوى مُسَجَّلة.

الْمقصد الثالث: حق العلماء

للعلماء حُقُوق، مَنْ لَمْ يعرفها لَهُم؛ فليس منَّا.

عَنْ عَبْدِ الله بن عَمْرو، عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: $**مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنا، وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنا؛ فَلَيْسَ مِنَّا**#[١].

ويُرْوَى عَنْ عُبَادَة بن الصَّامِت رضي الله عنه بزيادة: $**وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حقه**#[٢].

ومعرفة حق العَالِم هو حَق العلم، أن يعرف قدره بِمَا رفع الله من قدره وآتاه العلم، قال تعَالَى: [الْمُجَادلة:١١]. فيعرف له درجته الَّتِي رَفَعَ الله له بِمَا آتاه من العلم[٣].

≅ فمن حق العلماء:

١- إحسان الظن بهم؛ فإنه إذا كان من حَقِّ الْمُسلم على الْمُسلم أن يُحسن الظن به، وأن يَحمل كلامه على أحسن الْمَحَامل، فمن باب أولَى وأولَى العَالِم، فيحمل قوله وفعله على أفضل الْمَحَامل وأحسنها.

يُروى عن عمر بن الْخَطَّاب أنه قال: $لا تظنن بكلمة خرجت من فِي امرئ مسلم سوءًا وأنت تَجد لَهَا فِي الْخَير مَحملاً#[٤].

---

(١) أخرجه أحْمَد فِي الْمُسند - الرسالة (٦٤٤/١١)، تَحت رقم (٧٠٧٣)، وأبو داود فِي كتاب الأدب، باب: فِي الرَّحْمَة، حديث رقم (٤٢٩٢)، وصححه مُحَققو الْمُسند. وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه أحْمَد بِهَذه الزيادة فِي الْمُسند - الرسالة (٤١٦/٣٧)، تَحت رقم (٢٢٧٥٥)، والْحَاكم - علوش (٣٢٧/١)، تَحت رقم (٤٢٩)، وسند هذه الزيادة ضعيف جدًّا، كما نبَّه عليه الألباني فِي السلسلة الصحيحة حديث رقم (٢١٩٦)، وفِي السلسلة الضعيفة (٢١٠٨)، وقارن بِمَا جاء فِي تَخريج الْمُسند. وإسناده ضعيف.

(٣) فيض القدير (٣٨٩/٥).

(٤) أخرجه الْمحَاملي فِي أماليه (ص٣٩٥)، وعَزَاه فِي الدر الْمَنثور (٥٦٥/٧) لأحْمَد فِي الزهد.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويروى عن مُحَمَّد بن سيرين قال: "إذا بلغك عن أخيك شيء؛ فالتمس له عُذرًا، فإن لَمْ تَجد له عُذرًا؛ فقل: له عذر"(١).

ويذكر عن جعفر بن مُحَمَّد قال: "إذا بلغك عن أخيك الشيء تنكره؛ فالتمس له عُذرًا واحدًا إلَى سبعين عُذرًا، فإن أصبته، وإلا قل: لعل له عُذرًا لا أعرفه"(٢).

٢- ومن حَقِّهم اتِّهَام الْمَرء نفسه أمام فهمهم وتقواهم وورعهم، فلا يرى نفسه أفضل منهم، ولا يرى لفهمه ميزة على فهمهم.

وأخشى لِمَنْ يرى لنفسه الفضيلة على العُلَمَاء أن يكون فيه من صفات الكبر، فقد جاء فِي الْحَديث عن عَبْد الله بن مَسْعُود، عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **$لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ.** قَالَ رَجُلٌ: إنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوبُهُ حَسَنًا، ونَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ: **إنَّ الله جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاس#**(٣).

فبطر الْحَق: دفعه، ورَدُّه، وإنكاره.

وغمط الناس: انتقاصهم، واحتقارهم، والتعَالِي عليهم.

فإذا كان هذا الكبر مع عموم الناس، فما بالك مع العلماء.

٣- ومن حَقِّهم أن يُحترم اجتهادهم، حتَّى لو ظهر خطؤه، وبان عدم صوابه، فإنه لا يَخلو عن الأجر؛ إذ حال العلماء فيما اجتهدوا فيه دائر بين الأجرين والأجر والْمَغفرة.

عن عَمْرو بن الْعَاص أنه سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: **$إذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ، ثُمَّ أصَابَ؛ فَلَهُ أجْرَانِ، وَإذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ، ثُمَّ أخْطَأَ؛ فَلَهُ أجْرٌ#**(٤).

---

(١) الْجَامع لشعب الإيْمَان (١٤/٤٤١)، تَحت رقم (٧٩٨٨).

(٢) الْجَامع لشعب الإيْمَان (١٤/٤٤٢).

(٣) أخرجه مسلم فِي كتاب الإيْمَان، باب: تَحريْم الكبر وبيانه، حديث رقم (٩١).

(٤) أخرجه البخاري فِي كتاب الاعتصام، باب: إذا حكم الْحَاكم فاجتهد، حديث رقم (٦٨٠٥)، ومسلم فِي كتاب الأقضية، باب: بيان أجر الْحَاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، حديث رقم (٣٢٤٠).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يقول ابن القيم -رَحِمَه الله-: "لا قول مع قول الله وقول الرسول، ولابد من أمرين:

أحدهُمَا أعظم من الآخر: وهو النصيحة لله، ولرسوله، وكتابه، ودينه، وتنْزيهه عن الأقوال الباطلة الْمُنَاقضة لِمَا بعث الله به رسوله من الْهُدَى والبيِّنات الَّتِي هي خلاف الْحِكْمَة والْمَصلحة والرَّحْمَة والعدل، وبيان نفيها عن الدِّين وإخراجها منه وإن أدخلها فيه من أدخلها بنوع تأويل.

والثاني: معرفة فضل أئمَّة الإسلام ومقاديرهم وحقوقهم ومراتبهم، وأن فضلهم وعلمهم ونصحهم لله ورسوله لا يوجب قبول كل ما قالوه، وما وقع فِي فتاويهم من الْمَسَائل الَّتِي خفي عليهم فيها ما جاء به الرسول، فقالوا بِمَبلغ علمهم، والْحَق فِي خلافها؛ لا يوجب اطراح أقوالِهم جُمْلَة، وتنقصهم والوقيعة فيهم، فهذان طرفان جائران عن القصد، وقصد السبيل بينهما، فلا نؤثِّم، ولا نعصم، ولا نسلك بِهم مسلك الرَّافضة فِي عَليٍّ، ولا مسلكهم فِي الشيخين.

بل نسلك مسلكهم أنفسهم فيمن قبلهم من الصحابةو فإنَّهُم لا يُؤثِّمُونَهُم، ولا يعصمونَهُم، ولا يقبلون كل أقوالِهم، ولا يُهدرُونَهَا.

فكيف ينكرون علينا فِي الأئمَّة الأربعة مَسلكًا يسلكونه هُمْ فِي الْخُلَفَاء الأربعة وسائر الصَّحَابة، ولا مُنَافاة بين هَذين الأمرين لِمَنْ شرح الله صدره للإسلام؟!

وإنَّمَا يتنافيان عند أحد رجلين: جاهل بِمِقدَار الأئمَّة وفضلهم، أو جاهل بحَقيقة الشريعة الَّتِي بَعَثَ الله بِهَا رسوله، ومَنْ له علم بالشرع والواقع يعلم قطعًا أن الرَّجُل الْجَليل الذي له فِي الإسلام قدم صَالِح وآثار حسنة، وهو من الإسلام وأهله بِمَكان؛ قد تكون منه الْهَفوَة والزلة، هو فيها معذور، بل ومأجور لاجتهاده، فلا يَجوز أن يتبع فيها، ولا يَجوز أن تُهْدَر مكانته وإمامته ومنْزلته من قلوب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المسلمين"(١) ا عَلَيْهِ السَّلَام.

٤- ومن حَقِّهم أن يُتأمل قولُهُم واجتهادهم، ولا يهجم إِلَى نقده؛ فكم من قول لعَالِم انتقده بعض الناس، وآفة الناقد الفهم السقيم لكلامهم**!!**

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلاً صَحِيحًا وَآفَتُهُ مِن الْفَهْمِ السَّقِيمِ

٥- ومن حَقِّهم ألاَّ ينسب إليهم القصور فِي جَوَانب من العلم الدنيوي، فلا يُقَال عن العَالِم: إنه لا علم له بالطب أو الْهَندَسة، وكذا ما يُشَنشن به بعضهم من نسبة القصور فِي فقه الواقع للعلماء، وما دَرَى الْمِسكين ما هو فقه الواقع الْمُعتَبر**!** وما درى أنَّ فِي الشرع كفاية وغنية لِمَنْ أراد العلم الْحَق والْمَعرفَة الصحيحة**!!**

فـ [الواجب على الْمُسلم أن يَحفظ لسانه عَمَّا لا ينبغي، وألاَّ يتكلم إلاَّ عن بصيرة، فالقول بأنَّ فلانًا لَمْ يفقه الواقع؛ هذا يَحتاج إِلَى علم، ولا يقوله إلاَّ من عنده علم حتَّى يستطيع الْحُكم بأنَّ فلانًا لَمْ يفقه الواقع، أمَّا أن يقول هَذَا جُزَافًا، ويَحكم برأيه على غير دليل؛ فهذا منكر عظيم لا يَجوز، والعلم بأن صاحب الفتوى لَمْ يفقه الواقع يَحتاج إِلَى دليل، ولا يَتَسنَّى ذلك إلاَّ للعلماء](٢).

٦- ومن حَقِّهم لزومهم، والالتفاف حولَهُم، والأخذ منهم، ونبذ الفُرقَة والاختلاف، وليُعلم أن البعد عنهم خطره جسيم، فَإِنَّمَا يَأكُلُ الذِّئبُ من الغنم الْقَاصيَة، وفِي الْجَمَاعَةِ والالتفاف حول العلماء ولزومهم السَّلامَة من الوقوع فِي البدعة بين براثن الْهَوَى والشهوة، وفيه تعظيم أمر الدِّين وأمر العلم والعلماء، وإدخال الرَّهبَة فِي أصحاب الْمَعصية والفسق.

٧- ومن حَقِّهم حُرمَة الوقوع فيهم وفِي أعراضهم، فإذا كان كل الْمُسلم على الْمُسلم حرام: دمه وماله وعرضه، وهذا فِي عُمُوم الْمُسلمين، فكيف الْحَال بأعراض العلماء، وهم خَاصَّة الْمُسلمين؟**!** لا غَرْوَ كانت لُحُوم العلماء مَسْمومة،

(١) إعلام الْمُوَقعين (٣/٣٨٢-٣٨٣).

(٢) ما بين معقوفتين من كلام ابن باز -رَحِمَه الله- فِي بعض فتاواه.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وسنَّة الله فِي منتقصيهم مَعلومَة!

٨- ومن حَقِّهم ألاَّ يُفتأت عليهم، ولا يتَقَدَّم بين أيديهم، بل يُرْجَع إليهم عند نزول النازلة؛ ليستنبط حكمها من الشرع؛ امتثالاً لقوله -تبارك وتعَالَى-: [النساء:٨٣]. فإصدار البيانات العَامَّة والْخِطَابات العَامَّة فِي النوازل لا يُفتأت فيه عليهم، بل لابد من الرجوع إليهم، فَإنَّ هَذَا من حَقِّهم.

قال الشيخ عبد الرَّحْمَن بن ناصر السَّعدي -رَحِمَه الله تعَالَى- عند تفسيره للآية الكَرِيْمَة السَّابقة:

"هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق، وأنه ينبغي لَهُم إذا جاءهم أمر من الأمور الْمُهِمَّة والْمَصَالِح العَامَّة، ما يتعلق بالأمن، وسرور الْمُؤمنين، أو بالْخَوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا، ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الْخَبَر؛ بل يَردُّونه إلَى الرَّسُول وإلَى أولِي الأمر منهم: أهل الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور، ويعرفون الْمَصَالِح وضدها.

فإن رأوا فِي إذاعته مصلحة ونشاطًا للمؤمنين وسُرُورًا لَهُم، وتَحَرزًا من أعدائهم؛ فعلوا ذلك.

وإن رأوا ما فيه مصلحة أو فيه مصلحة، ولكن مَضَرته تزيد على مصلحته؛ لَمْ يذيعوه؛ ولِهَذَا قال: [النساء: من الآية ٨٣]. أي: يَستَخرجُونَه بفكرهم وآرائهم السَّديدَة، وعلومهم الرَّشيدة.

وفِي هذا دليل لقاعدة أدبيَّة، وهي: أنه إذا حَصَلَ بَحث فِي أمر من الأمور، ينبغي أن يُوَلَّى مَنْ هو أهل لذلك، ويُجعل إلَى أهله، ولا يتقدم بين أيديهم، فإنه أقرب إلَى الصَّوَاب، وأحرى للسَّلامَة من الْخَطَأ.

وفيه النهي عن العَجَلَة والتسرع لنشر الأمور، من حين سَمَاعها.

والأمر بالتأمل قبل الكلام، والنظر فيه: هل هو مصلحة فيقدم عليه الإنسان أم لا فيحجم عنه؟

ثُمَّ قال: [النساء: من الآية ٨٣]. أي: فِي توفيقكم وتأديبكم، وتعليمكم ما لَمْ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تكونوا تعلمون: [النساء: من الآية ٨٣]. لأنَّ الإنسان بطبعه ظَالِم جَاهل، فلا تأمره نفسه إلا بالشَّرِّ، فإذا لَجأ إِلَى ربِّه، واعتصم به، واجتهد فِي ذلك؛ لطف به، ووَفَّقَه لكل خير وعصمة من الشيطان الرَّجيم"(١) اهـ.

٩- ومن حَقِّهم ترك التعصب لقَولِهم دون دليل، فإن هُناك فرقًا بين تعظيم العَالِم وتوقيره ومعرفة حَقِّه، وبين التعَصُّب لقوله وإن خالف الدليل.

فإن التعصب مذموم، وهو من الْجَهل، وتوقير العَالِم واحترامه من فضل العلم مِمَّا دعا إليه الشرع، وترك التعصب لأقوال العُلَمَاء الَّتِي خَالَفَهَا الدليل ليس من باب إهدار أقوال العلماء وضياع حقوقهم، بل هو من تَجريد الْمُتَابعة للمعصوم ﷺ، وهو من حفظ حقوق العلماء.

قال ابن قيم الْجَوزيَّة -رَحِمَهُ الله-: "الفرق بين تَجريد متابعة الْمَعصُوم وإهدار أقوال العلماء وإلغائها:

أن تَجريد الْمُتَابعة: ألاَّ تقدم على ما جاء به قول أحد ولا رأيه كائنًا مَنْ كان، بل تنظر فِي صحة الْحَديث أولاً، فإذا صَحَّ لك؛ نظرت فِي معناه ثانيًا، فإذا تبيَّن لك؛ لَمْ تعدل عنه ولو خَالَفَك مَنْ بين الْمَشرق و الْمَغرب؛ ومعاذ الله أن تتفق الأمة على مُخَالفة ما جاء به نبيها، بل لابد أن يكون فِي الأمة مَنْ قال به ولو لَمْ تعلمه، فلا تَجعل جهلك بالقائل به حُجَّة على الله ورسوله، بل اذهب إِلَى النص ولا تضعف، واعلم أنه قد قال به قائل قطعًا، ولكن لَمْ يصل إليك.

هذا مع حفظ مَرَاتب العلماء وموالاتِهم، واعتقاد حرمتهم وأمانتهم واجتهادهم فِي حفظ الدِّين وضبطه، فهم دائرون بين الأجر والأجرين والْمَغفرة؛ ولكن لا يوجب هذا إهدار النصوص، وتقديْم قول الواحد منهم عليها، بشبهة أنه أعلم بِهَا منك، فإن كان كذلك؛ فَمَنْ ذهب إِلَى النص أعلم به منك؛ فَهَلاَّ وافقته إن

---

(١) تفسير ابن سعدي "تيسير الكَرِيْم الرَّحْمَن" الطبعة الَّتِي على هامش القرآن العظيم (ص١٩٠)، وقارن بـــ: "مَحَاسن التأويل" للقاسِمِي (٥/٣٢٤-٣٢٦).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كنت صَادقًا!!

فَمَنْ عرض أقوال العلماء على النصوص، ووزنَهَا بِهَا، وخَالَفَ منها ما خالف النص؛ لَمْ يهدر أقوالَهُم، ولَمْ يهضم جانبهم، بل اقتدى بِهم، فإنَّهُم كلهم أمروا بذلك، فمتبعهم حقًّا مَن امتثل ما أوصوا به، لا مَنْ خالفهم، فخلافهم فِي القول الذي جاء النص بِخلافه أسهل من مُخَالفتهم فِي القاعدة الكلية الَّتِي أمروا ودعوا إليها؛ من تقديْم النص على أقوالِهم.

ومن هنا يتبيَّن الفرق بين تقليد العَالِم فِي كل ما قال، وبين الاستعانة بفهمه والاستضاءة بنور علمه، فالأول يأخذ قوله من غير نظر فيه، ولا طلب لدليله من الكتاب والسنَّة، بل يَجعل ذلك كالْحَبل الذي يلقيه فِي عنقه يقلده به؛ ولذلك سُمِّيَ تقليدًا بِخلاف من استعان بفهمه، واستضاء بنور علمه فِي الوصول إلَى الرَّسُول - صلوات الله وسلامه عليه- فإنه يَجعلهم بِمَنْزلة الدليل إلَى الدليل الأول، فإذا وصل إليه؛ استغنَى بدلالته عن الاستدلال بغيره، فمن استدل بالنجم على القبلة، فإنه إذا شاهدها؛ لَمْ يبق لاستدلاله بالنجم مَعنًى.

قال الشافعي: "أجْمَعَ الناس على أن مَن استبانت له سنَّة رسول الله؛ لَمْ يكن له أن يَدَعَهَا لقول أحد"[1] اهـ.

وليخش الذي يُضيِّع حَقَّ العلماء ويؤذيهم من دخوله فِي حرب الله؛ إذ العلماء من الأولياء، قال الله -تبارك وتعَالَى-: [يونس:٦٢-٦٤].

عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **$إِنَّ الله قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا؛ فَقَدْ آذَنتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ؛ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، ويَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأعِيذَنهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نفْسِ الْمُؤمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأنا أَكْرَهُ**

---

(١) الروح لابن القيم (ص٣٥٦-٣٥٧).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مَسَاءتَهُ#[١].

وجَاءَ الْحَديث مِنْ طَريق عبد الواحد مولَى عُرْوَةَ، عن عُرْوَةَ، عن عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: $**قَالَ الله T: مَنْ آذَى لِي وَلِيًّا؛ فَقَدْ اسْتَحَلَّ مُحَارَبَتِي، وَمَا تقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بمِثْلِ أَدَاء الْفَرَائِض، وَمَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بالنَّوَافِلِ حَتَّى أحِبَّهُ، إنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ، وَإِنْ دَعَانِي أجَبْتُهُ. مَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءْ أنا فَاعِلُهُ ترَدُّدِي عَنْ وَفَاتِهِ؛ لأنهُ يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَكْرَهُ مَسَاءتَهُ#**. وفِي رواية: $**مَنْ أَذَلَّ لِي#**[٢].

فهل يريد أحد يَخشى الله ويَخافه أن يكون مِمَّن آذن الله بحَرب؟!

وهذا يقرر وجوب مَحبتهم، وموالاتِهم، ومَودَّتِهم، وتوقيرهم، ونصرتِهم فِي الْحَقِّ الذي معهم، وإجلالِهم لِمَا خَصَّهُم الله به من كونهم الْمُوَقعين عن رَبِّ العَالَمين، وهذا من أعظم حقوقهم الَّتِي تَجب على عُمُوم الْمُسلمين.

وقد نص العلماء الأعلام أن الاستهزاء والسخرية بالعلماء من أجل ما هم عليه من الشرع استهزاء بالشرع، والاستهزاء بالشريعة كفر!!

والله T يقول: [التوبة:٦٥-٦٦].

الْمقصد الرابع: الأدب مع العلماء

احترام العلماء وتوقيرهم وتعظيمهم من حقوقهم الَّتِي يَجب علينا مراعاتُهَا، حتَّى قيل: يُعَامل العلماء كمعاملة الْخُلَفاء، يعني فِي الأدب معهم.

نقل عن أيوب بن القرية[٣] **أنه قال**: "أحق النــاس بــالإجلال ثلاثــة: العلمــاء،

---

(١) **حديث صحيح**: أخرجه البخاري فِي كتاب الرقاق، باب: التواضع، حديث رقم (٦٠٢١).

(٢) **إسناده ضعيف**: أخرجه أحْمَد فِي الْمُسند (الرسالة ٤٣/٢٦١)، تَحت رقم (٢٦١٩٣)، وفِي إسناده عبد الواحد مولَى عروة، يرويه عن عروة، عن عائشة، وقد عَدَّ ابنُ عدي هذا الْحَديث فِي مناكيره.

(٣) له ترجمة في سير أعلام النبلاء (٣٤٦/٤). والقرية هي أمه واسم أبيه يزيد بن قــيس بــن زرارة النمري الهلالي أعرابي أمي فصيح مفوه يضرب ببلاغته المثل.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والإخوان، والسلاطين.

فَمَن استخف بالعلماء؛ أفسد مروءته.

ومَن استخف بالسلطان؛ أفسد دنياه.

والعاقل لا يستخف بأحد.

قال: والعاقل دينه شريعته، والْحِلْم طبيعته، والرأي الْحَسَن سجيته"[١].

ويُروَى عن عليٍّ بن أبي طالب أنه قال: $من حَقِّ العَالِم عليك: أن تسلم على القوم عَامَّة، وتَخصه دونَهم بالتحية، وأن تَجلس أمامه، ولا تشيرنَّ عنده بيدك، ولا تغمزنَّ بعينيك، ولا تقولنَّ: قال فلان. خلافًا لقوله، ولا تغتابنَّ عنده أحدًا، ولا تسار فِي مَجلسه، ولا تأخذ بثوبه، ولا تلح عليه إذا كسل، ولا تعرض من طول صحبته، فإنَّمَا هو بمَنْزلة النخلة تنتظر متَى يسقط عليك منها شيء.

وإنَّ الْمُؤمن العَالِم لأعظم أجرًا من الغازي فِي سبيل الله، وإذا مَات العَالِم انثلمت فِي الإسلام ثلمة، لا يسدها شيء إلَى يوم القيامة#[٢].

فهذه جُملة من الآداب الَّتِي تراعى مع العلماء، ولنفردها على أقسام، فأقول:

الأدب مع العالم في درسه:

فمن الأدب مع العَالِم فِي درسه:

- الْحِرْصُ على الدرس ولزومه.
- تفهم عبارته وإشارته.
- صرف العين والوجه إليه.
- ترك الاشتغال أمامه بأي شيء آخر غير السَّمَاع لدرسه.
- الْحرص على حسن الاستماع وحسن السؤال.

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (١/١٤٦).

(٢) الْجَامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/١٩٩)، وعلقه ابن عبد البر فِي جامع بيان العلم وفضله (١/١٤٦)، وأسنده مُختصرًا (١/١٢٩).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- القرب منه ما أمكن.
- قلة الْحَرَكة إلا لِحَاجَة أمامه.
- ترك الاسترسال أثناء الدرس بالكلام حتَّى ولو أذن بالتعليق.
- ترك الأسئلة أثناء الدرس وليحفظ الطالب أسئلته إلى ما بعد الدرس.
- إذا سأل العَالِمَ يُحسن سؤاله؛ فإن حُسْنَ السؤال نصف العلم.
- إذا سَمع جواب العَالِم يتدبره ويتفهمه قبل أن يعيد السؤال.

الأدب مع العالم في صحبته:

طالب العلم مع الشيخ خادم، ولأمر ما كان من أسْمَاء طالب العلم مع شيخه: "تلميذ"، والتلميذ جَمعها "التلاميذ"، وهم الْخَدَم والأتباع، ويأتي التلميذ بِمعنَى متعلم الصنعة، والتلميذ الْخَادم.

قال الشاعر لبيد بن ربيعة:

فَالْمَـــاء يَجلو متونَهن كَمَا ... يَجلـــو التلاميذ لُؤلُؤًا قشبَا

قوله: "التلاميذ": غلمان الصناع. وقوله: "القشب". القشيب: الْجَديد، والْجَمع قشب(١).

عن ابن وهب، عن مالك قال: "كان عبيد الله بن عبد الله بن عتبة من علماء الناس كثير العلم، وكان ابن شهاب يَخدمه حتَّى إنه كان لينَاوله الشيء.

قال: وكان ابن شهاب يصحب عبيد الله حتَّى إنه كان لينْزع له الْمَاء.

قال: وكان عبيد الله بن عبد الله إذا دخل فِي صلاته، فقعد إليه إنسان لَمْ يقبل عليه حتَّى يَخلو من صلاته على نَحو ما كان يرى من طولِهَا.

قال مالك: إنَّ عَليَّ بن الْحُسَيْن كان من أهل الفضل، وكان يأتيه فيجلس إليه، فيطول عبيد الله صلاته، ولا يلتفت إليه، فيقال له: علي بن الْحُسَيْن! وهو مِمَّن

(١) انظر رسالة "التلميذ" للبغدادي (ضمن نوادر الْمَخطُوطَات) تَحقيق عبد السلام هارون (٢٤٣/١).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هو منه، فقال: لابد لِمَنْ طلب هذا الأمر أن يُعنَى به"[١].

فطالب العلم في صحبة شيخه خادم له، وعليه أن يَتَحَلَّى بالصِّفَات التالية:

- ألاَّ يرفع صوته أمامه.
- أن يبادر إلَى تلبية طلبه.
- ألاَّ يتَقَدَّمه إلا لِخِدمَته.
- أن يعظمه فِي خطابه.
- ألاَّ يلح عليه عند كسله أو شغله.
- ألا يُحرجه بالسؤال عَمَّا يعلم أن العَالِم لا يريد الكلام فيه.

وعُمُومًا: عليه أن يَحرص فِي صحبة العَالِم على مُرَاعَاة حق العلم الذي خَصَّه الله به، وليتذكر قول الله -تبارك وتعَالَى-: [الْمُجَادلة:١١].

الأدب مع العالم في مجلسه:

وفِي مَجلس العَالِم ينتبه إلَى الأمور التالية:

- أن يكون مَجلسه دون العَالِم.
- ألاَّ يكون بعيدًا عن العَالِم، ولا قريبًا جدًّا منه فِي مَجلسه.
- أن يتَفَسَّح للطلاب الذين يريدون الْجُلُوس.
- ألاَّ يشغب بالكلام فِي مَجلسه، ولا يُمَاري، ولا يُجَادل.
- ألاَّ يبدأ الْحَديث حتَّى يبدأ الشيخ.
- ألاَّ يفرض على مَجلس الشيخ حديثًا بدون إذن الشيخ.
- ألاَّ يتكلم بعد كلام الشيخ إلاَّ بإذنه.
- ألاَّ يغتاب عنده أحدًا.
- ألاَّ يشعره بتململ أو تضجر.
- ألاَّ يَجلس جلسة تنبئ عن عدم الاكتراث أو قلة الاهتمام.

---

(١) الْمَدخل إلَى السنن الكبرى للبيهقي (ص٢٧٩).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- أن يتَحَمَّل من شيخه ما قد يعتريه من وعورة خلق أو شدَّة، فإنَّمَا هو بشر.

الأدب مع العالم مع فتواه:

العلماء يوقعون فتاواهم عن الله، فكيف ينبغي أن يكون حالنا معهم فِي فتاواهم؟!

هذه بعض الآداب:

- عدم التعنيف والتشنيع على الواحد منهم إذا كان له رأي رآه بِحَسب اجتهاده فِي مسألة اجتهادية.

- إحسان الظن بِهم فِي فتاواهم، فلا يُقَال عن العَالِم: أفتَى لغرض دنيوي، أو لكذا.

- عند تَحَقُّق خطأ العَالِم يسقط القول الذي أخطأ فيه، ولا يسقط العَالِم.

- الثقة فِي علمه وتَحريره وترجيحه، فيتلقى بالتأمل والتدبر وإحسان الظن، واتِّهَام النفس بعدم الفهم، فلا يهجم على رَدٍّ أو مناقشة قبل ذلك، وإن بدا له شيء؛ فلا يتعجل حتَّى يتأكد ويستشير ويستخير، ثُمَّ يقدم ما بدا له إلَى شيخه برفق وأدب، ودون أن يرى لنفسه فضلاً، فإن لشيخه الفضل أن عَلَّمَه وفَهَّمَه حتَّى استطاع أن ينتبه إلَى ما انتبه إليه.

- الأصل تلَقِّي فتوى العَالِم بالقبول، إلا أن يظهر مُخَالفتها للدليل الذي يلزم الْمَصير إليه، أمَّا ما دام لَمْ يظهر ما يقتضي مُخَالفتها للدليل الذي يلزم الْمَصير إليه؛ فإنَّ الْمَسألة اجتهادية، والأصل أن اجتهاد العَالِم لا ينقض باجتهاد عَالِم غيره، وذلك فِي غير الْمَسَائل الَّتِي يترافع فيها إلَى الْحَاكم الشرعي.

- ومن الأدب معه فِي فتواه أو عند ذكره أو ذكر كتبه تعظيمه وتوقيره.

- ومن الأدب معه عند ذكره أن يدعو له، ويعظمه، فلا يُسَمِّيه باسْمِه، ولا ينبزه بلقب، ولا يشينه بنسبة.

- وألاَّ يشير إلَى تناقض فتواه مع أخرى سبقت له؛ إنَّمَا يسأل ويستهدي ويسترشد برفق.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- ألاَّ يقول له: العَالِم الفلاني قال بكذا، يعنِي خلافًا لقوله.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الْمَقصد الخامس: أضرار ضياع حق العلماء

حياة العَالِم حياة العالَم.

يروى عن عليٍّ بن أبي طالب قال: $إذا مات العالِم انثلمت فِي الإسلام ثلمة لا يسدها شيء إلَى يوم القيامة#[1].

قال ابن القيم -رَحِمَه الله-: "لَمّا كان قيام الإسلام بطائفتَي: العلماء، والأمراء، وكان الناس كلهم لَهُم تبعًا؛ كان صلاح العَالَم بصلاح هاتين الطائفتين، وفساده بفَسَادِهِمَا.

كما قال عبد الله بن الْمُبَارك وغيره من السلف: صنفان من الناس إذا صلحَا؛ صلح الناس، وإذا فَسَدَا؛ فسد الناس. قيل: من هم؟ قال: الْمُلوك، والعلماء.

كما قال عبد الله بن المبارك:

رَأَيْتُ الذُّنوبَ تُمِيتُ القُلُـوبَ ... وَقَـدْ يُـورِثُ الـذُّلَّ إدْمَانُهَـا
وَترْكُ الذُّنُوبِ حَيَـاة القُلُـوب ... وَخَيْـر لنفْـسِكَ عِـصْيَـانُهَا
وَهَـلْ أَفْسَدَ الدِّين إلاَّ الْمُلُـوكُ ... وَأَحْبَـارُ سُـوءٍ وَرُهْبَـانُهَـا[2]

وإذا كانت طاعة العلماء تبع لطاعة الله ورسولهﷺ، وطاعة الأمراء تبع لطاعة العلماء؛ فإنَّ معصية العلماء ومُخَالفتهم وضياع حقوقهم ضياع لِحُقُوق الأمراء، وفتح لباب معصيتهم والْخُرُوج عليهم.

فحياة العَالِم وصلاحه حياة العالَم وصلاحه! فإذا ضَاعَت حُقُوق العلماء؛ ضَاعَت حُقُوق الأمراء، وإذا ضَاعَت حُقُوق العلماء والأمراء؛ فَسَدَ العالَم!!

وأضرار ضياع حق العلماء كثيرة، منها ما هو ظاهر، ومنها ما هو خفي، فإن ضياع حق العلماء فساد فِي الأرض، والله يقول: [الروم:٤١].

---

(١) الْجَامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/١٩٩).

(٢) إعلام الْمُوَقعين (١/٨-١٠).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فمن أضرار ضياع حق العلماء:

١- **رفع العلم:** فإذا كان العلم يقبض بمَوت العلماء، وإذا كان ضياع حق العَالِم يُسَبِّب الْحِرْمَان من علمه؛ فإنَّ ضَيَاع حَقِّ العَالِم كَمَوته يقبض بسببه العلم، فضياع حق العلماء هو موت حكمي للعلم.

عن عَبد الله بن عَمْرو بن الْعَاص قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهﷺ يَقُولُ: **$إِنَّ اللهَ لا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِن الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاء، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا؛ اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالاً، فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا#**[١].

وبَوَّب البخَاريُّ فِي صحيحه فِي كتاب العلم : "بَاب كَيْفَ يُقْبَضُ الْعِلْمُ، وَكَتَبَ عُمَرُ بن عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى أَبِي بَكر بن حَزْمٍ: انْظُرْ مَا كَانَ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللهﷺ فَاكْتُبْهُ؛ فَإِنِّي خِفْتُ دُرُوسَ الْعِلْمِ وَذَهَابَ الْعُلَمَاءِ، وَلا تَقْبَلْ إِلاَّ حَدِيثَ النَّبِيِّ ﷺ، وَلْتُفْشُوا الْعِلْمَ، وَلْتَجْلِسُوا حَتَّى يُعَلَّمَ مَنْ لا يَعْلَمُ؛ فَإِنَّ الْعِلْمَ لا يَهْلِكُ حَتَّى يَكُونَ سِرًّا#". اهـ.

وقول عمر بن عبد العزيز -رَحِمَه الله-: "فَإِنَّ الْعِلْمَ لا يَهْلِكُ حَتَّى يَكُونَ سِرًّا". أي: خفية، أراد به: كتمان العلم[٢].

وهذا من لَوَازم ضياع حَقِّ العلماء، فإذا ما ضُيِّع حق العَالِم؛ يُزهد فِي علمه ويكتم، فلا يعود يعرف إلا سرًّا، بسبب غلبة الْجَهل على الناس؛ فلابد أن يعرف الناس العَالِم، ويَجلس للناس يعلمهم، ويَجلس الناس إليه لينتفعوا بعلمه: "وَلْتُفْشُوا الْعِلْمَ، وَلْتَجْلِسُوا حَتَّى يُعَلَّمَ مَنْ لا يَعْلَمُ؛ فَإِنَّ الْعِلْمَ لا يَهْلِكُ حَتَّى يَكُونَ سِرًّا".

فإن قيل: ما مناسبة قبض العلم بمَوت العلماء حقيقة أو حكمًا، والقرآن العظيم موجود، والسنَّة موجودة، وكتب العلم موجودة مُدَوَّنة؟!.

فَالْجَوَاب: يقبض العلم بمَوت العلماء، كما قال الرسولﷺ.

---

(١) **حديث صحيح:** سَبَق تَخريْجُه.

(٢) عُمْدَة القاري شرح صحيح البخاري (١٢٩/٢).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولعل مناسبة ذلك تظهر في الأمور التالية:

الأمر الأول: أنَّ العَالِمَ يعظم أمر الدِّين والشرع، فيحث الناس ويدعوهم إلَى تطبيقه سننًا وواجبات، فكم من سنَّة مُدَوَّنة ومكتوبة أظهرها الله على يد عالِم، دعا الناس إليها، وعَلَّمَهُم إياها، وحثهم على إحيائها، ولا يَحصل هذا بِمُجَرَّد الكتب.

الأمر الثاني: أنَّ العَالِمَ بين الناس قدوة صَالِحَة، يرى الناس فيه الدِّين مطبقًا ظاهراً، والقدوة من أعظم طرق التربيَّة والتعليم، فالسنَّة شعار العَالِم، فإذا مات العَالِمُ؛ اختفت صورة الدِّين الَّتِي كانت عليه بين الناس، وحصول القدوة لا يكون بِمُجَرَّد الكتب.

الأمر الثالث: أنَّ العَالِمَ لديه ملكة علميَّة فقهيَّة تساعده على الاستنباط، فإذا ما نزلت النازلة أمكنه بأسرع وقت استنباط الْحُكم وتعليمه ونشره بين الناس، وبيان حكم الشرع فِي هذه النازلة، وهذه الْمَلَكة لا تأتي بِمُجَرَّد قراءة للكتب عند نزول النازلة بدون طول مُمَارسة ومُشَافهة للعلماء.

الأمر الرابع: أنَّ العَالِمَ يَجتمع لديه من فقه الكتاب والسنَّة، ومن العلوم والْمَعَارف والتجارب والدِّرَاية بأحوال الناس وشئونهم وأمورهم ما لا يوجد فِي كتاب، وإذا أراد أحد أن يتتبع كل ذلك؛ احتاج إلَى زمان طويل؛ إذ العالِم طوى ذلك فِي سنوات عمره منذ تلقيه للطلب، فكيف يأتي هذا عن مُجَرَّد كتاب؟!

الأمر الْخَامس: أن للعلماء ثلاثة أسْمَاء، وهي التالية:

الاسم الأول: العَالِم، وهو الذي يقرر أحكام الشرع على ما هي عليه.

الاسم الثاني: الْمُفتِي، وهو من ينَزل حكم الشرع على واقع الْمُستفتِي.

الاسم الثالث: الْحَاكم الشرعي، وهو القاضي، وهو الذي يُنَفِّذ الْحُكم ويطبقه، واجتهاده يرفع الْخِلاف فِي الْمَسألة الاجتهاديَّة.

وكل حاكم مُفْتٍ، وكل مُفْتٍ عالِم، ولا عكس.

والكتب لا تعطي عالِمًا، ولا مفتيًا، ولا حاكمًا شرعيًّا على الوصف السابق:

فلا يستطيع الكتاب أن يَجمع ما يَحتاجه تقرير الْحُكم الشرعي فِي القضية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الْمُعينة، فتحتاج أن تطالع فيها أكثر من كتاب، وتَحتاج الترجيح عند الاختلاف، وتطبيق قواعد أهل العلم، وهذا لا يعطيكه كتاب.

ولا يستطيع الكتاب أن ينْزل حكم الشرع على واقع الْمُستفتِي.

ولا يستطيع الكتاب أن ينفذ الْحُكم ويطبقه فِي الْحُكُومة.

الأمر السادس : أن العالم هو الذي يدفع الإشكالات عن الحكم، ويقرره أبلغ تقرير، ويوفق بين النصوص بحسب ما يقع عليها من الفهوم، ويرد المتشابه إلى المحكم.

التعليق [baz١]: لم أذكره في النسخة التي أرسلتها لدار الإمام أحمد ، وزدته بعد ذلك.

فقبض العلم بمَوت العلماء، كما قال الرسول ﷺ.

٢ - **غياب الْمَرجعيَّة**: وذلك أن ضياع حق العلماء يَجعل العَوَام لا يعرفون قدر أهل العلم، ولا يَحفظون مكانتهم، فتغيب شَمس الْمَرجعيَّة عن حَيَاتِهم، فيتخبطون فِي ظلام الْجَهل، ويَختل نظام الْحَيَاة، فإنَّ العُلَمَاء هُم الذين يَسُوسُون العباد والبلاد والْمَمَالك، فَمَوتُهم حقيقة أو حكمًا فساد لنظام العَالَم، فما يعود للناس مرجع يرجعون إليه عند نزول النوازل وحدوث الْحَوَادث، فيقعون فِي هرج ومَرج، إلا أن يشاء الله.

وهَذَا مَا جَاءَ فِي الْحَديث عن أبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **$لا تقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وتكثُرَ الزَّلازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وتظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيَكثُرَ الْهَرْجُ وَهُوَ الْقَتْلُ الْقَتْلُ، حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ فَيَفِيضَ#**[1]. فانظر كيف جاءت هذه الأشراط متتابعة؟!

٣ - **اختلال الأمان النفسي**: وذلك لأن غياب الْمَرجعيَّة العلميَّة يترك فراغًا فِي النفس البشريَّة، لا يسده إلا أن تَجد مَنْ يغذي حاجتها، فيتخذ الناس رءوسًا جُهَّالاً فيقع الضرر التالِي:

٤ - **اتِّخَاذ رءوسًا جُهَلاء**: وذلك نتيجة غياب الْمَرجعيَّة، وحاجة الْمَرء إلَى مَنْ

---

(١) أخرجه البخاري فِي كتاب الْجُمُعَة، باب: ما قيل فِي الزلازل والآيات، حديث رقم (١٠٣٦)، واللفظ له، ومسلم فِي كتاب العلم، باب: رفع العلم وقبضه، حديث رقم (١٥٧).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يرجع إليه فِي سؤاله وبَحثه، فإذا لَم يَجد العُلَمَاء؛ لأنَّ صورتَهُم قد زلزلت فِي ذهنه، وما عاد يراهم عُلَمَاء؛ فإنه ينظر إلَى مَنْ يُبْرز على أنه عَالِم، فيتخذه له مَرجعًا: $**حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا؛ اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالاً، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ فَضَلُّوا، وَأَضَلُّوا**#.

٥- **ومن أضرار ضياع حق العلماء؛ موافقة أهل البدع والأهواء ومُشَابَهتهم:** وذلك أنَّ من سنن أهل البدع والأهواء انتقاص العلماء، وانظر ما شئت من الفرق والْجَمَاعَات الْمُخَالفة لِهَدي الرسول ﷺ ولِمَا كان عليه الصحابة -رضوان الله عليهم- تَجد هذا فيهم:

فالشيعة: أمرهم مشهور(١).

والْخَوَارج: حَالُهُم فِي ذلك مذكور(٢).

والْمُعتزلة: شأنُهُم معروف(٣).

والصوفية: ونبزهم علماء الشرع أمره ملحوظ(٤).

وهكذا لا تَجد فرقة ولا جَمَاعَة ولا طائفة تُخَالف الصراط الْمُستقيم، وتَخرج عن سبيل الْمُؤمنين؛ إلا وهي تتكلم فِي العلماء، وتطعن فيهم، وتضع من شأنِهم، وتضيِّع حقهم، وتتخذ رءوسًا جُهَّالاً!!

قال الشاطبي -رَحِمَه الله-: "روي أنَّ زعيمًا من زعماء أهل البدعة كان يريد تفضيل الكلام -يعني: مَا يُسَمَّى بعلم الكلام- على الفقه، فكان يقول: إنَّ علم

---

(١) فهم قد رَدُّوا الصَّحَابة وانتقصوهم؛ إلا آل البيت ومَنْ كان مواليًا لَهُم بزعمهم!.

(٢) فلم يقتصر أمرهم على الانتقاص، بل قاتلوا الصَّحَابة.

(٣) فهم ينبزون أهل السنَّة بالْحَشَوِيَّة، وبأَنَّهُم زوامل أسفار لا علم عندهم.
وفِي ضعفاء العقيلي (٣/٢٨٥): "عن إسْمَاعيل بن عُلية، عن اليسع أبو سعدة قال: "تكلم واصل يومًا، فقال عمرو بن عبيد: اسْمَعُوا فما كلام الْحَسَن، وابن سيرين، والنخعي، والشعبِي عندما تسمعون إلا خرق حيض مطروحة". وواصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد رءوس الْمُعتزلة.

(٤) فهم يقولون سخرية بأهل السنَّة: علمكم ميِّت عن ميّت، وعلمنا عن الْحَيِّ الذي لا يَمُوت، حدثني قلبِي عن ربي.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الشافعي وأبي حنيفة جُملته لا يَخرج عن سراويل امرأة -يعني: أحكام الْحَيض والنفاس-.

هذا كلام هؤلاء الزائغين، قاتلهم الله"[١] اهـ.

٦- **ومن أضرار ضياع حق العلماء؛ وقوع الناس فِي الضَّلال، والْخُرُوج عن صراط الْهِدَاية، وسبيل والرشاد:** وذلك أن الناس سيتخذون رءوسًا جُهَّالاً بدلاً من العلماء، فيسألونَهُم، فيفتونَهُم بغير علم فيضلوا، فيكون من الأضرار وقوع الناس فِي الضلال.

وقد جاء ذكر ذلك فِي الْحَديث السابق، وهو ما جاء عن عبد الله بن عَمْرِو بن الْعَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: **$إِنَّ الله لا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِن الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا؛ اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالاً، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ فَضَلُّوا، وَأَضَلُّوا#**[٢].

ومَحل الشاهد فيه هنا قوله: $فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ فَضَلُّوا، وَأَضَلُّوا#. فانظر كيف حكم عليهم بالضلال والإضلال**!!**

٧- **ومن أضرار ضياع حقوق العلماء؛ حلول الذل والْهَوَان على الأمة:** يوضح ذلك الْحَديث الذي جاء عن ابن عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: **$إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وأخَذْتُمْ أذْنابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وترَكْتُمْ الْجِهَادَ؛ سَلَّطَ الله عَلَيْكُمْ ذُلاً لا يَنْزِعُهُ حَتَّى ترْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ#**[٣].

---

(١) الاعتصام (٢/٢٣٩).

(٢) **حديث صحيح:** سَبَق تَخريْجُه قريبًا.

(٣) أخرجه أحْمَد فِي الْمُسند - الرسالة (٨/٤٤٠)، تَحت رقم (٤٨٢٥)، (٩/٥١)، تَحت رقم (٥٠٠٧)، (٩/٣٩٥)، تَحت رقم (٥٥٦٢)، وأبو داود فِي كتاب البيع، باب: فِي النهي عن العينة، حديث رقم (٣٤٦٢)، وأبو يعلى فِي الْمُسند (١٠/٢٩)، تَحت رقم (٥٦٥٩)، والبيهقي فِي السنن الكبرى (٥/٣١٦). والْحَديث ضعفه مُحَقق الْمُسند.
وأشار إِلَى حُسنه مُحَقق مسند أبي يعلى، وصَحَّحَه الألباني بِمَجموع طرقه، فقد أورده فِي السلسلة الصحيحة حديث رقم (١١).
=

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولا طريق للناس إلَى الرجوع إلَى الدِّين إلا بالعلماء، فإذا أضاعوا حَقَّ العلماء، وما عَادُوا يَعرفُونَهُم، وزهدوا فيهم، واتَّخَذُوا رءوسًا جُهَّالاً؛ كيف يرجعون إلَى الدين؟!

والدِّين هو ما جاء فِي حديث جبريل لَمَّا ذكر الإسلام، والإيْمَان، والإحسان، وأشراط الساعة، ثُمَّ قال فِي آخره: $ثُمَّ انْطَلَقَ -يعني: السائل الذي جاء يسأل على تلك الْهَيئة العجيبة- فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: **يَا عُمَرُ، أتدْرِي مَن السَّائِلُ؟** قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أعْلَمُ. قَالَ: **فإنه جِبْرِيلُ، أَتاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**#[1].

فإذا أسقط العلماء، واتَّخَذَ الناس رءوسًا جُهَّالاً؛ مَنْ يعود بالناس إلَى دينهم؟! كيف يَخرجون من حال الذُّلِّ والْهَوَان بدون العلماء؟!

٨- **ومن أضرار ضياع حقوق العلماء؛ الْخُرُوج عن سبيل الْمُؤمنين:** وهذا منحى توعد أصحابه بالنار: [النساء:١١٥].

٩- **ومن أضرار ضياع حقوق العلماء؛ الوقوع فِي خلاف ما أمر به ﷺ من إكرام العلماء وحفظ حقوقهم وعدم إيذائهم:** واللهُ T يقول: [النور:٦٣].

=

وللحديث شاهد عن ابن مسعود مرفوعًا: $**لا تتخذوا الضيعة؛ فترغبوا فِي الدنيا**#. أخرجه أحْمَد (الرسالة ٦/٥٤)، تَحت رقم (٣٥٧٩)، والترمذي، والْحَاكم، وأورده الألباني فِي السلسلة الصحيحة تَحت رقم (١٣). فالحديث حسن لغيره.

(١) أخرجه مسلم فِي كتاب الإيْمَان، باب: بيان الإسلام، والإيْمَان، والإحسان، حديث رقم (٨)، عن عمر بن الْخَطَّاب رضي الله عنه.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخاتمة: في الحث على لزوم العلماء

اعلم أيها الأخ -وفقني الله وإيَّاك لِمَا يُحبه ويرضاه- أن غاية هذه الْمَقَاصد، إنَّمَا هو تأكيد لزوم العلماء، والأخذ عنهم، والْحِرص على مَجَالسهم؛ فإنَّ مَجَالس العلماء [تفيد الْحِكمَة، وبأعمالِهم ينْزجر أهل الغَفلة، وهم أفضل من العُبَّاد، وأعلى درجة من الزُّهَّاد، حَياتُهُم غنيمة، ومَوتُهُم مُصيبة، يُذَكِّرُون الغافل، ويُعَلِّمُون الْجَاهلَ، لا يتوقع لَهُم بائقة، ولا يُخَاف منهم غائلة.

بحُسن تأديبهم يتنازع الْمُطيعون، وبِجَميل موعظتهم يرجع الْمُقَصِّرون، جَميع الْخَلق إلَى علمهم مُحتاج، والصحيح على مَنْ خالف بقولِهم مِحجاج، الطاعة لَهُم من جَميع الْخَلق وَاجبة، والْمَعصية لَهُم مُحَرَّمَة، مَنْ أطاعهم رشد، ومَنْ عَصَاهُم عَنَد، ما ورد على إمام الْمُسلمين من أمر اشتبه عليه حتَّى وقف فيه، فبقول العلماء يعمل، وعن رأيهم يصدر، وما ورد أمراء الْمُسلمين من حكم لا علم لَهُم به بقولِهم يعملون، وعن رأيهم يصدرون، وما أشكل على قضاة الْمُسلمين من حكم؛ فبقول العلماء يَحكمون، وعليه يعولون؛ فهم سرج العباد، ومنار البلاد، وقوام الأمة، وينابيع الْحِكمَة، هم غيظ الشيطان.

بهم تَحيا قلوب أهل الْحَقِّ، وتَموت قلوب أهل الزيغ.

مَثَلُهُم فِي الأرض كَمَثل النجوم فِي السَّماء، يُهتدى بهَا فِي ظلمات البر والبحر، وإذا انطمست النجوم تَحيَّروا، وإذا أسفر عنها الظلام أبصروا][1].

هذا ما يَسَّر الله لِي جَمعه وكتابته، والْحَمْدُ لله الذي بنعمته تتم الصَّالِحَات.

---

(١) ما بين معقوفتين من كلام الآجري -رَحِمَه الله- فِي مُقَدِّمة كتابه "أخلاق العلماء" (١٠-١١).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com